الإطار الابستيمولوجي لتأسيس علم الاستغراب محاولة في المنهجية

عبد العزيز بن فضيل بوالشعير*

خالد حسن محمد البعداني*

Exploring Epistemological Foundations for the Science of Occidentalism (*Ilm al-Istighrāb)*: A Methodological Study

Abdelaziz bin Fodil Bouchair*
Khaled Hassan Muhammad al-Baadani*

Abstract

This study is framed within an epistemological investigation that focuses on the intellectual and methodological prerequisites essential for generating knowledge. It scrutinizes the conceptual underpinnings and fundamental requirements necessary to establish Occidentalism (*Ilm al-Istighrāb*) as a scientific discipline that critically examines and analyzes the Western perspectives on Islam. This study explores the requisite epistemological and methodological frameworks for the formation of this field of knowledge, encompassing its thematic scope, governing methodologies, objectives, central questions, and structural

* أستاذ الفلسفة بجامعتي محمد لمين دباغين سطيف٢ الجزائر. جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

* الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

* Professor, Faculty of Shariah and Usuluddin, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.

* Associate Professor, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.

challenges. Addressing a pressing epistemological concern, this inquiry seeks to address a critical academic concern within contemporary Islamic thought by investigating the prerequisites for establishing a systematic discipline capable of engaging the West as both a subject of scholarly inquiry and as a discursive construct. Adopting a critical-analytical perspective, this study employed inductive, analytical, and evaluative methods. The study concluded that *ʿIlm al-Istighrāb* must transit from an accumulative and fragmented phase to a methodologically grounded discipline, guided by a clearly articulated epistemological vision. It emphasizes the necessity of clearly delimiting the field's subject matter, refining its methodological tools, and organizing its core issues while addressing subjective and objective epistemological constraints. Such measures are essential for enabling critical and scientifically sound engagement with the Western civilizations. The study further advocates for a distinct conceptual differentiation between Occidentalism and general Western studies, as well as between *ʿIlm al-Istighrāb* as a discipline and its philosophical foundations. Additionally, it calls for a systematic re-evaluation of the Islamic intellectual heritage associated with *Istighrāb*, intending to collect, classify, and reorganize its themes within a precise and disciplined framework.

Keywords: *ʿIlm al-Istighrāb*, Occidentalism, Epistemology, Islamic Thought, Methodology, Western, Islamic, Civilization, Philosophy of Science.

Summary of the article

This study addresses a significant topic in contemporary debates about Islamic knowledge, which includes the following issues: what conceptual and methodological frameworks are required to establish the Science of Occidentalism (*ʿIlm al-Istighrāb*) as a distinct and independent academic discipline. This study is set against the larger backdrop of epistemology, which looks at the criteria, scope, and fundamental reasoning behind scientific fields. It takes a close look at what the foundations of this new academic discipline might be,

focusing specifically on the West—not just as a geographical or political area, but also as an intellectual concept, a framework of knowledge, and a civilizational system worthy of examination, understanding, and critical reflection.

The research begins with the premise that conventional methods of examining the West in Islamic thought frequently lack organization and a clear understanding of knowledge. Therefore, it aims to investigate the fundamental elements necessary to raise discussions about the West to a scientific level in the future. This involves specifying the topic, goals, approaches, and theoretical framework of Occidentalism while outlining its main issues and conflicts. It also highlights the subjective and objective knowledge barriers that hinder progress in this area. These challenges vary from ingrained mental tendencies to constraints in current research methods and models.

The study challenges the viability of Occidentalism as a field of study using a composite methodological approach that combines analytical, inductive, and critical techniques. By challenging Islamic epistemological authority to reassert itself in the face of prevailing Western epistemic paradigms. The research is a humble attempt to contribute towards the decolonization of knowledge. It promotes developing a coherent, methodical, and critically re-examined body of knowledge rather than merely accumulating Western knowledge. The study contends that this shift necessitates both methodological rigor and a distinct epistemological vision that redefines the parameters of interaction with the West.

The study concludes by arguing for a fundamental change that would distinguish Occidentalism's actual construction as a science with its own internal logic and academic legitimacy from philosophical reflections on the subject. The article presents *ʿIlm al-Istighrāb* as an urgent epistemological project and calls for a methodical arrangement of classical and modern Muslim texts about this field.

المقدمة

يرتبط تأسيس علم الاستغراب بحقل معرفي جديد من حقول العلوم المعاصرة في تراثنا الإسلامي أولا وبالتراث العلمي العالمي ثانيًا، ذلك أنه يرتبط بشكل أو بآخر بجملة من المفاهيم والمصطلحات والقضايا والمشكلات المتولّدة عن هذا الحقل المعرفي الجديد، كونه يؤسس لدائرة علمية جديدة على المستوى الإبستيمولوجي وهي كيفية بناء وتأسيس هذا العلم، ويدرس ظاهرة من الظواهر الحضارية المعاصرة وهي ظاهرة الغرب والعالم الغربي بصفة عامة باعتباره موضوعا ومجالا لهذا العلم المسمّى علم الاستغراب، بحجة أنّ الغرب يعد مركزا مهما ومهيمنا على العالم، ومتحكّما في معظم أطرافه، وحاضرا في مختلف مجالاته.

ينشأ علم الاستغراب في إطار بنية العلم الإسلامي المعاصر ورؤيته للعالم ونظريّاته في الوجود والمعرفة والقيم، ينطلق من أسسه المعرفيّة، وخلفيّاته الدينيّة، ومسلّماته الفكرية، ويتموقع ضمن سياقه التاريخي والحضاري الذي يقتضي ضرورة تأسيس هذا العلم، وإنضاج موضوعه واختياره منهجه وبلورة غايته، غير أنّ تأسيسه يرتبط مفاهيميا ومنهجيا وإجرائيا بعلوم أخرى؛ مثل علم التاريخ والأنثروبولوجيا وعلم النفس والاجتماع واللغة ولسانياتها، والسياسة والجغرافيا وعلم الأديان ومقارنتها، وفلسفة الحضارة وتاريخها، والأبستمولوجيا ومباحثها، والدراسات الحضاريّة واستراتيجياتها، وعلوم التعامل مع الغرب ومناهجها.

يأتي تأسيس هذا العلم ضمن الرؤية الحضارية التي تعد منهجية التعامل مع الغرب فكرا وحضارة وواقعا في صوره المختلفة ومكوّناته المتنوّعة إحدى دوائرها الكبرى، بانخراط الباحثين والمفكرين في الفكر الإسلامي المعاصر وعلومه في مسألة "نحن والغرب" أو "نحن وعلوم الغرب" أو "نحن وحضارة الغرب" أو كما يسمّيها البعض بجدلية "الأنا" و"الآخر"، وما يتطلّبه البحث في موضوعات بناء الوعي المنهجي والفكري للإنسان المسلم المعاصر، بما يؤهّله للولوج إلى حلقة

دراسة الغرب ودائرة تأسيس علم الاستغراب، بعيدا عن الممارسات التاريخية للمستشرقين ومنهجياتهم ومسلّماتهم التي انطلقوا منها، الذين درسوا الشرق انطلاقا من مقدّمات استتباعه والتأثير عليه أولًا، ثم الهيمنة عليه والتحكّم فيه بعد فهمه واستيعاب علومه وهضم تراثه ثانيًا، ثم الاستفادة من منجزات حضارته ثالثًا.

لهذا يأتي تأسيس علم الاستغراب بغرض الوقوف على أصوله ومصادره الأصلية، وتحليل خلفياته المعرفيّة وما قدّمه من منظومة علمية، وعلينا أن نضع الغرب ضمن النسق المعرفي والمؤسّسي العام للحضارة الغربية[١] من جهة، والنسق المعرفي والمؤسّسي العام للحضارة والفكر الإسلامي المعاصر من جهة أخرى. فلن يُؤتي هذا العلم ثماره المرجوة من تأسيسه إلّا بعد تحديد موقعه من دائرة العلم والفكر الإسلامي المعاصرين، فلا نقلّل مما وصل إليه، ولا نعظّمه فنضعه في موضع أكبر من حجمه، ونهمّش الثقافات الإنسانية الأخرى بنماذجها المعرفية المنفصلة عن الوعي الغربي وأنماطه في التفكير ونماذجه في التدبير. وبالتالي لن يكون الاستغراب ذا وجهة معادية للغرب ومصادمة له، ولا ندخل في مواجهة حضارية معه مثلما فعل معنا الغرب ومستشرقوه، بالتنسيق والتعاون مع دوائرهم السياسية والعسكرية والدينية، بل يكون منطلق علم الاستغراب ومقصده هو التفاعل الإيجابي مع الغرب، والتعامل البراغماتي الذكي مع ثقافته وعلومه، والاستفادة المبصرة الموجَّهة والمنضبطة من منجزاته المادية والفكرية، وفق رؤية معرفية أصيلة، قائمة على مناهج علمية متوازنة، محكومة بقواعد سلوكية وقيمية نابعة من رؤيتنا الحضارية والكونية للعالم، ومتحرّرة من كل تأثر أو انبهار بالآخر.

---

١ - غريغوار منصور مرشو، **مقدمات الاستتباع الشرق موجود بغيره لا بذاته** (فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦م) ط١، ص١٥.

الإشكالية والتساؤلات الفرعية

يندرج البحث ضمن البحوث التي تجيب عن سؤال الماهية، بما هو يسعى إلى ضبط تصور علم الاستغراب أكثر من السؤال الذي يعمل على تبرر تصديق معين لهذا العلم، فيقدّم حججا مقنعة وبراهين كافية لدراسته وتأسيسه، ولهذا يتحدّد السؤال المركزي لهذا البحث في الآتي: ما هو الإطار الأبستمولوجي والمنهجي لتأسيس علم الاستغراب؟

وتتفرع عن السؤال المركزي التساؤلات الفرعية الآتية:

١. ما هو موضوع علم الاستغراب؟

٢. ما هي مناهج علم الاستغراب؟

٣. ما هي أهداف علم الاستغراب؟

٤. ما أهم قضايا ومشكلات علم الاستغراب؟

٥. ما هي العوائق الأبستمولوجية لتأسيس علم الاستغراب؟

أهمية الموضوع

تكمن أهمية البحث في كونه يعالج مسألة علمية وأبستمولوجيا راهنة في الفكر الإسلامي المعاصر، تتعلّق بالشروط المعرفية والمنهجية لتأسيس علم الاستغراب من جهة الخطاب الذي نشكّله حول هذا العلم، وبدراسة الغرب وحضارته باعتباره موضوعا ومجالا معرفيا لهذا العلم كذلك، ما يعطي لموضوع البحث أهمية معرفية وقيمة منهجية في آن واحد، تسمح للعقل الإسلامي المعاصر بالانخراط المباشر في عملية التفكير العلمي والنقدي في موضوع علم الاستغراب ومسوّغات وأهداف تأسيسه، والانتقال به من دائرة العمل العفوي إلى العمل العلمي الممنهج المؤسَّس على ابستيمولوجية واضحة، ومن زاوية أخرى، فإنّ الاشتغال بهذا الموضوع يمكّن الفكر الإسلامي المعاصر من تحديد كيفيات التفاعل مع الغرب والتعامل الإيجابي مع منجزاته والاستفادة

المبصرة من تراثه ومناهجه وعلومه وفلسفاته، ما يجعل دراستنا لهذا الموضوع ومنهجيته ضرورة معرفية منضبطة إبستيمولوجية، ومتطلبًا حضاريًا هاما ينبغي للعقل الإسلامي المعاصر أن ينخرط في وُرَشه الفكرية بوعي وبصيرة ومنهج.

أهداف الموضوع

نهدف في بحثنا هذا تحقيق الأهداف الآتية:

١- ضبط وتحديد موضوع علم الاستغراب ومجالات اشتغاله.

٢- بيان المنهاج الذي يعتمده علم الاستغراب في دراسته لموضوعه ومجالاته.

٣- التعرّف على أهداف علم الاستغراب والتمييز بينها وبين أهداف دراسة الغرب.

٤- عرض أهم قضايا ومشكلات علم الاستغراب عرضا مجملا ومرتبا.

٥- بيان العوائق الأبستمولوجية الذاتية والموضوعية لتأسيس علم الاستغراب.

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع علم الاستغراب في تراثنا الفكري والعلمي الحديث والمعاصر، تراوحت بين كتابات حول الغرب ودراسات أكاديمية وأطروحات جامعية في مختلف البلدان العربية والإسلامية، وبعضها الآخر جاء في شكل أبحاث ومقالات نشرت في دوريات علمية محكمة، وجاء البعض الآخر في شكل ندوات ومؤتمرات علمية مختلفة. وهذه الدراسات والأبحاث والأطروحات على أهميتها من جهة، وتقاطعها مع موضوع بحثنا من جهة أخرى، لكنها لم تتركز حول الإطار الإبستيمولوجي لتأسيس علم الاستغراب، لأنها انطلقت مباشرة في البحث والكتابة حول الغرب وتاريخه وأصوله وعلومه وثقافاته وفلسفاته وفنونه وآدابه، بل وصراعاته وحروبه الصليبية مع العالم الإسلامي، وأحيانا أخرى البحث في تأثر الغرب بالحضارة الإسلامية وما نهله من علوم المسلمين ومناهجهم، قبل أن تؤسّس مثل هذه الأبحاث

لابستيمولوجيا هذا العلم وتحديد موضوعه وضبط مسلّماته وفرضياته، ولم تنضج لديها فكرة المناهج التي تسمح لنا بدراسة الغرب، خصوصا وأنّ العقل الإسلامي مر بمرحلة ضعف وانسحاب من معترك الصراع الثقافي والفكري مع الآخر، فقد كان منفعلا متأثرا ومقلدا للغرب ولم يكن فاعلا ولا مؤثرا ولا مبدعا لفترة غير قصيرة من الزمن، ثم إن ما كتب حول الغرب لم يُسمّ بشكل مباشر وصريح بعلم الاستغراب، ولم يحصل الاتفاق بين أصحابه على الغايات الكبرى المعرفية والمنهجية والحضارية لهذا العلم، ولم تتبلور لديها منهجيات التعامل مع الغرب ومنجزاته، ولهذا نرى بأن ما كتب حول الغرب وعلم الاستغراب لا يوفر الشروط المعرفية والمنهجية له، بل إنّ من يريد أن يكتب حول الغرب علما وموضوعا ومنهجا وغاية لابد أن يكون الإطار الإبستيمولوجي واضحا لديه، يفرق فيه بين الاستغراب وعلم الاستغراب.

ومن الدراسات السابقة التي كتبت في موضوع علم الاستغراب وبحثت في تاريخ نشأته وتطوره في تراثنا الإسلامي ما يلي:

١. بحث الدكتور محمد عبد الحليم بيشي: **"الجذور التاريخية لعلم الاستغراب في التراث الإسلامي"**(٢)، الذي تلخّصت إشكاليته في البحث والحفر عن جذور علم الاستغراب قديما ووسيطا، متسائلا هل افتتح العالم العربي فعلا هذا العلم من قبل؟ أم أن الأمر جديد مع تحدي الاستشراق؟ وقد هدف البحث في عمومه إلى تحقيق ما يلي:

١. الكشف عن التصورات الإسلامية الأولى للغرب ومذاهبه وتياراته، قبل الولوج للكشف عن الغرب المعاصر.

٢- محمد عبد الحليم بيشي، "الجذور التاريخية لعلم الاستغراب في التراث الإسلامي"، **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية**، المجلد٣٧، العدد٢، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، جامعة قطر.

٢. إمداد المشتغلين بالاستغراب بمواد معرفية تاريخية عن التصورات الإسلامية الأولى للغرب القديم، لتكون هذه المعارف منطلقا لتأسيس خلفية معرفية ناظمة لتطوير هذا العلم.

وخلص الباحث في بحثه إلى النتائج الآتية:

- ✓ أنّ المسلمين الأوائل حاولوا رسم صورة مقاربة عن المخالف لهم في الدين أي الغرب بصفة عامة.
- ✓ أنّ علم الاستغراب له جذور في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- ✓ أنّ الهدف العلمي والتجاري لم يغب عن أعمال الرحالة والجغرافيين والمهتمين بالأجناس والآداب والأديان.

ورغم ما لهذه الدراسة من أهمية معرفية وتاريخية في البحث عن جذور علم الاستغراب في تراثنا الإسلامي، غير أنها اقتصرت على إعمال الرحالة والجغرافيين والمهتمين بالآداب والأديان الأخرى، ولم يتم التركيز على شروط بناء علم الاستغراب من خلال الإطار الأبستمولوجي والمنهجي الذي يجيب عن الأسئلة الخمس الآتية:

- ✓ ماذا ندرس في علم الاستغراب؟ ويتعلق الأمر بضبط الموضوع وحدوده.
- ✓ لماذا ندرس علم الاستغراب؟ ويتعلق الأمر بالأهداف والغايات.
- ✓ كيف ندرس الغرب؟ ويتعلق الأمر بالمناهج التي يتم من خلالها تأسيس علم الاستغراب.
- ✓ ما هي أهم القضايا والمشكلات التي يدرسها علم الاستغراب؟
- ✓ ما هي الصعوبات والتحديات التي تواجهنا في تأسيس علم الاستغراب؟ ويتعلق الأمر بالعوائق الابستيمولوجية لتأسيس علم الاستغراب.

وهذا ما جاءت هذه الدراسة من أجل تحقيقه، كمحاولة منهجية في تأسيس علم الاستغراب، ما يجعل الموضوع المطروح هنا أقرب للحديث عن فلسفة العلم بما هي خطاب حول

العلم وشروطه المعرفية والمنهجية والمنطقية أكثر من حديثه في علم الاستغراب ومباحثه وجزئياته وتفصيلاته ومسائله.

٢. بحث الدكتور عبد المجيد بن محمد الوعلان: **"الاستغراب"** (٣)، اشتمل البحث على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. جاء الفصل الأول بعنوان: تعريف علم الاستغراب ونشأته، أما الفصل الثاني فقد تناول فيها الباحث أهمية علم الاستغراب، وفي الفصل الثالث تطرق الباحث إلى: الموقف الصحيح من علم الاستغراب، والفصل الرابع تناول ضوابط دراسة علم الاستغراب، أما الفصل الخامس والأخير فتناول نماذج من علم الاستغراب. وخلص الباحث إلى جملة من النتائج ركز فيها على حرص الغرب على ممارسة النقد الذاتي لحضاراته، ثم أشار إلى حاجة العالم إلى هداية الإسلام للبشرية، وهي نتائج عامة برأينا، لم تركز على الشروط المعرفية والمنهجية لتأسيس علم الاستغراب، وهذا ما نحاول عرضه في بحثنا هذا.

منهج البحث

اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المناهج بحسب طبيعة الموضوع والسياق الذي يرد فيه من أفكار وتصورات ورؤى، توسّلنا في دراستنا بالمنهج التحليلي؛ عمدنا فيه إلى تحليل مختلف الرؤى والأفكار التي كُتبت حول تأسيس علم الاستغراب في تراثنا الفكري والعلمي والمعاصر من جهة، وحول ما كُتب عن الغرب وحضارته من جهة ثانية. وكان من الضروري استخدام المنهج الاستقرائي أين قُمنا باستقراء بعض النصوص أو الأفكار أو المواقف وتتبع سياقتها المعرفية والتاريخية والاطلاع على كل أو بعض ما يتعلّق بمنهجية تأسيس علم الاستغراب، أو حول ما كُتب حول الغرب وثقافته وعلومه ومنهجياته. وقد كان دافعنا الأول للخوض في مثل هذه الدراسات

٣- عبد المجيد بن محمد الوعلان: الاستغراب، المكتبة الشاملة، https://shamela.ws/book/63/3.

القراءة النقدية الواعية والهادفة للكتابات الأولى في علم الاستغراب متوسلين في ذلك بأدوات المنهج النقدي وإجراءاته، لإدراك مواطن القصور ومكامن الخلل في تراث الغرب وحضارته، من خلال القراءة التقييمية لمرجعياته الفكرية ومصادره المعرفية والدينية ومناهجه البحثية وأدواته ومجالاته وعلومه وفلسفاته وقيمه وممارساته ومنجزاته.

تقسيمات البحث

انطلقنا في تقسيمنا للبحث من المسلّمة التي ترى بأن تصور العلم–أي علم–إنما تقوم على ثلاث مقوّمات أساسيّة:

- ✓ موضوعات بحث محددة تميزه عن غيره من العلوم.
- ✓ منهج محدد يتفق عليه المشتغلون بهذا العلم.
- ✓ نتائج أو أهداف مثمرة، يبدأ فيها العالم أو الباحث عمله من حيث انتهى سلفه(٤).

ورأينا أن نضيف إلى هذه المقوّمات الثلاث مقوّمين أساسيّين لا غنى للباحث عنهما وهما:

- ✓ القضايا والمشكلات التي يدرسها هذا العلم.
- ✓ العوائق الابستيمولوجية التي تواجه هذا العلم.

وعليه، جاء بحثنا هذا في مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، وهي كالآتي:

مقدمة

١. المبحث الأول: موضوع علم الاستغراب.

٢. المبحث الثاني: منهج علم الاستغراب.

٤- محمود زيدان، **مناهج البحث الفلسفي** (بيروت: دار الأحد، ١٩٧٤م) ص ٥.

٣. المبحث الثالث: أهداف علم الاستغراب.

٤. المبحث الرابع: قضايا ومشكلات علم الاستغراب.

٥. المبحث الخامس: العوائق الأبستمولوجية لتأسيس علم الاستغراب.

تم في الأخير خاتمة البحث

المبحث الأول: موضوع علم الاستغراب

السؤال المركزي الذي يواجهنا عند الحديث عن تأسيس علم الاستغراب هو: ما مفهوم الغرب؟(٥) وما هو موضوع علم الاستغراب؟ فهل يقصد به العالم الغربي؟ هل يدلّ الغرب على معنى واحد أم أننا نقف على اختلافٍ في معانيه وتعدّدٍ في مبانيه؟ اختلاف وتعدّد ناجم عن اختلاف السياقات الزمنية والتاريخية التي تشكّل فيها، مثل السياق الذي تشكّل فيه الغرب كأوروبا فهو سابق عن السياق الذي تشكّل فيه الغرب كأمريكا، وسياق تشكّل أوروبا الشرقية كغرب أدنى يختلف عن سياق تشكّل أوروبا الغربية كغرب أوسط، يختلف كذلك عن سياق وظروف تشكل أمريكا الشمالية والجنوبية كغرب أقصى. "وهذا ما يؤكّد دائما أنّ الغرب ليس غربًا واحدًا، بل هو غرب وثانٍ وثالث... على أنّ من الغربيين من يفرّق "عقائدياً" بين أوروبا والغرب وبين أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى.."(٦)، فهذا التنوع في الغرب قائم جغرافيا على الأقل، فالمنطقة التي يطلق عليها الغرب هل تقف عند حدود أوروبا وأمريكا أم تمتد إلى جزء من آسيا واستراليا؟ وكيف نفسّر التفاوت الحاصل في مستوى حالاته الاجتماعية؟ وما هذا التباين الواضح في بعض نظمه السياسيّة والاجتماعية والاقتصادية؟ ألم تشر الدراسات السيكولوجية والأنثروبولوجية إلى تمايز الذهنية

5- Philippe Nemo, **Qu' est- ce que L'Occident**? (Paris : Presses Universitaire de France. 2004) P7.

٦ - علي بن إبراهيم النملة، **إشكالية المصطلح في الفكر العربي الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات** (بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ٢٠١٠م) ص ٩٥.

الأوروبية عن الذهنية الأمريكية؟ وما الذي يجعل من الغرب واحدا أمام هذا التنوعّ السالف الذكر؟ فكيف نسمح لأنفسنا بأن ننظر إلى الغرب ككتلة واحدة وموحّدة منسجمة ومتناغمة في البنية والمفهوم والواقع؟

إنّ التأسيس الابستمولوجية لعلم الاستغراب ينبغي أن يقف عند هذه الجزئية المتعلّقة بموضوع الغرب ومفهومه، فالتعريف الأساسي لما يشكّل" الشكل" متنوعّ ومتعدّد على الأقل من الناحية الظاهرية، وهو موضوع ومفهوم يتوسّع ويتقلّص مع الزمن وفقا للظروف التاريخية ومعطياتها المختلفة.

إن مفهوم الجزء الغربي من كوكب الأرض له جذوره في التقسيم اللاهوتي والمنهجي والتمييزي بين الكنيسة الغربية الرومانية الكاثوليكية والشرقية الأرثوذوكسية، حيث كان الغرب في الأصل حرفيا، يعني أوروبا الكاثوليكية مقابل ثقافات وحضارات أوروبا الأرثوذوكسية، والشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وإفريقيا جنوب الصحراء، وجنوب آسيا، والشرق الأقصى النائي الذي رآه الأوروبيون الأوائل حديثا باسم الشرق، لكن بحلول منتصف القرن العشرين، مرّ تصدير الثقافة الغربية على مستوى العالم من خلال وسائل الإعلام الجديدة مثل الأفلام والإذاعة والتلفزيون والموسيقى المسجّلة، في حين لعب تطوّر ونمو النقل الدولي والاتصالات السلكية واللاسلكية دورا حاسما في العولمة الحديثة وكرس في الواقع ما يسمّى بالغرب.

في حين أنّه في الاستخدام الحديث يشير الغرب أحيانا إلى أوروبا وإلى المناطق التي ينحدر سكانها بشكل كبير من أوروبا، من خلال عصر الاكتشاف. بينما يعود مفهوم العالم الغربي في جذوره الثقافية إلى الحضارة اليونانية بما اشتملت عليه من نظريات ورؤى في

الاقتصاد والسياسة والقانون والأخلاق والاجتماع والفلسفة والحروب الخ...(٧) وكذا الجذور الرومانية التي استقى منها النزعة الفردية والنزعة الإنسانية، والنزعة العقلانية النقدية في أوروبا وظهور المسيحية والانشقاق الكبير في القرن الحادي عشر الذي قسّم الدين إلى شطرين شرقي وغربي(٨).

في العصر الحديث تأثرت الثقافة الغربية بشكل كبير بتقاليد الثقافة المسيحية وعصر النهضة والتنوير وأشكالها التوسعية الاستعمارية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. فقد ظل تأثير الشرق لغزا محيرا لكثير من المفكرين والباحثين في تاريخ الأفكار وتطوّرها في النسق المعرفي الغربي، لقد بيّنت "الدراسات المتقدّمة في تاريخ الأفكار... أنّ الفكر الشرقي الفلسفي والديني في الصين والهند واليابان كان المنهل الأساسي لكثير من المقولات والمفاهيم الفلسفية الغربية الحداثوية وما بعد الحداثوية حتى عند أكبر الفلاسفة الغربيين كنيتشه وفتقنشتاين ومارتن هايديقر مثلا"(٩). غير أنّ الغرب ظل يخفي مثل هذه الحقائق التي تكشف مساهمة الثقافات الشرقية في تطوّر الغرب، ومنها طبعا الحضارة العربية الإسلامية، التي كان لها بالغ الأثر في النهضة الغربية في تشكّلاتها الأولى في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، لأنّ الدارس الحصيف لتاريخ الغرب وثقافته وعلومه وأفكاره "يدرك أنّ الحداثة الغربية في حد ذاتها هي جماع رؤى دينية وفلسفية شرقية وشرق-أوسطية كثيرة قامت على التمازج والتفاعل، وأنها قد استقت كثيرا من مفاهيمها التي صنعت منعرجات حاسمة في

٧- ينظر: مجموعة باحثين، **نقد الحضارة الغربية (تاريخ الإغريق قبل القرن التاسع ق.م)**، الجزء ٢، ٣، ٤، ٥، و٦، العتبة العباسيّة المقدّسة (العراق: المركز الإعلامي للدراسات الاستراتيجية، ٢٠٢١م).

٨- ينظر: حسن حنفي، **تطور الفكر الديني الغربي في الأسس والتطبيقات**، الفصل الأول (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م). ينظر أيضا: ريتشارد تارناس: **آلام العقل الغربي**، ص١٠٨، ١١٣.

٩- المبروك المنصوري، **مكانة الدين في النهضة اليابانية والعربية** (تونس: الدار المتوسطية للنشر، ٢٠١٢م) ص١١.

الفكر البشري المعاصر من البوذية والكونفشيوسية والطاوية والزينية وغيرها..."(١٠).

أما في السياق السياسي والحضاري فقد استخدم مصطلح الغرب أو العالم الغربي من طرف الاتحاد السوفياتي وحلفائه خلال الحرب الباردة ضد أعدائهم من منتصف القرن العشرين حتى وقت متأخر من القرن العشرين، ولا يزال هذا الاستخدام قائما في ظل استمرار الصراع بين العالمين الشرقي والغربي. وفي نفس الإطار يمكن أن نُدخل الاستخدام الإسلامي لمصطلح الغرب وحضارته في مقابل العالم الإسلامي ذي المرجعية الدينية الإسلامية والسمات الثقافية والحضارية المعبّرة عن جوهر الحضارة الإسلامية وعلومها الدينية والعقلية والكونية وفنونها وآدابها وتراثها المتميّز في التاريخ(١١).

كما يشير مصطلح العالم الغربي في السياق السياسي والثقافي المعاصر بشكل عام إلى دور الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا ونيوزيلندا وأوروبا الوسطى ويضم أحيانا في بعض التعريفات أميركا اللاتينية والبلقان، وفي بعض الأحيان يضم التعريف كل من تركيا وأرمينيا وجورجيا وجنوب إفريقيا والفلبين. وبهذا التحديد يكون العامل الثقافي هو الأكثر حضورا في تحديد مفهوم الغرب، وليس العامل الجغرافي كما كان سائدا لفترة طويلة من الزمن.

يقتضي منا المقام هنا، ونحن بصدد الحديث عن الإطار الأبستمولوجي لتأسيس علم الاستغراب إعادة طرح التساؤلات الآتية:

١. في أي سياق تاريخي ومعرفي نؤسّس علم الاستغراب؟

٢. ما هي الشروط المنهجية والمعرفية لتأسيس علم الاستغراب؟

١٠- المرجع نفسه، ص ١١.

١١- ينظر: إسماعيل راجي الفاروقي، **أطلس الحضارة الإسلامية**، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، مراجعة: رياض نور الله، (الرياض: مكتبة العبيكان) (فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

٣. ما هي الإمكانات العلمية والذهنية والبحثية المتاحة لتأسيس علم الاستغراب؟

٤. ما هي آفاق تأسيس علم الاستغراب؟

وبنا ء على ما سبق فإننا نرى بأن من يريد دراسة الغرب بطبيعته المركبة والمعقدة أن يدرسه باعتباره:

حيزا جغرافيا (الغرب في سياق المكان): ما هي حدود الغرب؟ وما هي امتداداته الجغرافية والفكرية والاستراتيجية؟ هل يتوقف الغرب عند القارة الأوروبية؟ هل ينحصر في أوروبا الغربية فقط؟ أم يمتد ليشمل أوروبا وأمريكا؟ ما موقع بعض الدول المنتمية لدائرة الغرب فكريا وسياسيا واقتصاديا كاليابان مثلا؟

١. **منظومة ثقافية (الغرب والثقافة)**: ما هي ثقافة الإنسان الغربي؟ ما طبيعة الثقافة التي تبناها المجتمع الغربي؟ ما مصدر النظرية الثقافية المشكلة للغرب؟ وكيف استطاعت أن تبني مجتمعا متقدما أو متطورا بالمقارنة مع بقية الثقافات والحضارات والأمم الأخرى؟ بل وكيف تحولت ثقافة المجتمع الغربي إلى رؤية إيديولوجية، تعكس نزعة الاستعلاء والشعور بالتفوق لدى الإنسان الغربي، والنظر إلى الآخر نظرة دونية احتقارية عدائية، نظرة تحول فيها العلم من أداة معرفية إلى أداة إيديولوجية عقائدية، ابتعد فيها عن أهدافه، وفقد فيها خصائص العلم ووظيفته في المجتمع والحياة(١٢). هذا التحول في وظيفة العلم وخصائصه عبرت عن عمق أزمة الفكر الغربي، الذي صار يحاول الهروب إلى الأمام، بعدما لاحظ بقوة فشل حاضره وإفلاسه(١٣).

١٢- جوليان فروند، **علم الاجتماع عند ماكس فيبر**، ترجمة: تيسير شيخ الأرض (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٧م) ص ١١٢.

١٣- ينظر: أدريين كوخ، **آراء فلسفية في أزمة العصر**، ترجمة: محمود محمود (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية) (نيويورك: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٦٣م).

٢. **مسارا وفعلا تاريخيا (الغرب في سياق الزمن)**: أو ما نسميه الغرب في السياق التاريخي أو على خط الزمن، وهنا نتساءل: كيف نشأ الغرب في التاريخ الحديث والمعاصر؟ وما هي فلسفته في التاريخ؟ بل وما هي النظريات الفلسفية الكبرى التي وجهت حركته في التاريخ الحديث والمعاصر؟ وما هو المنطق الذي حكم تطوره وسيره في التاريخ؟ ما هي المراحل الكبرى والمحطات الفاصلة في تاريخه الحديث والمعاصر؟ بمعنى؛ ما دور الثورات الكبرى التي وقعت في الغرب في إعادة تشكيله وبلورة تصوراته الأساسية في المعرفة والوجود والقيم؟ وهل اكتفى الغرب بما دعت إليه الثورات التي وقعت فيه سياسيا وثقافيا وعلميا وصناعيا وإعلاميا؟ ما هي آفاقه التاريخية وتطلّعاته الحضارية؟ وما موقع نظريات نهاية التاريخ والإنسان الأخير ضمن مشروعه الفكري؟ وإلى أي حد ساهمت هذه النظرية في رسم السياسات الكبرى للغرب؟ وما هي حدود العلاقة بينها وبين الذهنية الغربية؟ وكيف تطورت بنيته الذهنية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية في متتالية حياتية حضارية توسّعية أو استعمارية عدوانية في الغالب؟ ما وجه العلاقة بين الغرب وأديانه بطوائفها المختلفة وبمذاهبها المتعددة وبإصلاحاتها الفكرية والمؤسّسية؟ بل، لماذا لم يستمر حضور الدين بشكل مباشر في حياة الأفراد والجماعات والمؤسّسات؟ بل ولماذا يتم التركيز على الأهمية العامة للدين؟(١٤) هل يشهد الغرب مراجعة لموقفه التاريخي والمعرفي من الدين بعدما اعتبره مظهرا من مظاهر الهرب من مواجهة حقائق الاستغلال الاقتصادي وفق المقاربة الماركسية مثلا؟ وإلى أي مدى

١٤- يورغن هابرماس وآخرون، **قوة الدين في الفضاء العام**، تحرير وتقديم: إدوارد منديتا وجوناثان فانا نتوبرين، ترجمة: فلاح رحيم (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، ٢٠١٣م) ص١١.

راجع أيضا: باروخ سبينوزا، **رسالة قصيرة حول الله، الإنسان ورفاهه**، ترجمة: نبيل فياض (ميونخ- ألمانيا: دار أبكالو للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠م) ص١٤١ وما بعدها. ينظر أيضا: جاك دريد اوجياني فاتيمو(إشراف): **الدين في عالمنا**، ترجمة: محمد الهلالي وحسن العمراني (المغرب: دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م).

ساهم الدين في تطور الغرب وفي تحديد مساره ووجهته نحو العلمنة والمادية والحداثة وانتهى به الأمر إلى ما بعد الحداثة وما بعد العلمانية وما بعد السرديات وما بعد الإنسان الأخير؟ بمعنى آخر؛ هل تحرر الغرب نهائيا من الدين كما يعبر عن ذلك العلمانيون أم ظل محتفظا به خاضعا لتوجيهاته ومدافعا عن نصوصه؟ فلا يمكنك مثلا الطعن في النصوص المقدسة اليهودية والمسيحية بأي شكل من الأشكال، رغم ما يبدو ظاهريا أنه مجتمع علموي علماني بحت. والدليل على ذلك هو ما تعبر عنه بعض البحوث الغربية المعاصرة تحت مسمّى عودة المقدس إلى الخطاب الفلسفي والثقافي الغربي، بل أن بعضهم لا يقبل أبدا المساس بالديانة المسيحية ولا اليهودية، مع سماحهم للطعن في الإسلام ونصوصه من القرآن والسنة أو في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، ما يبرز ازدواجية في الموقف من الدين وحضاراته وثقافته وتاريخه.

٣. **نسقا معرفيا: (الغرب والنسق المعرفي)**: ما هي رؤية الغرب للعالم والإنسان والله والحياة؟ وما هي مكونات نظامه المعرفي؟ وما هي كبرى الافتراضات المعرفية والوجودية والقيمية التي انطلق منها الغرب في بناء حضارته؟ ما هي خصائص النظام المعرفي الغربي؟ ما موقع الرومانسية من نسق المعرفة في الغرب؟ لماذا ظلت فلسفة الروح وقيم الرومانسية على هامش نسق المعرفة في الغرب؟ "من المسلم به أن النظام المعرفي الغربي قائم على ثنائية العلاقة بين الإنسان والكون، والإنسان وأخيه الإنسان، وتدور معظم إشكالياته المتنوعة حول هذه الثنائية، هذا النظام في حقيقته مبني على رؤية معرفية تحدد مفهوم الإنسان لذاته، ولمحيطه الطبيعي الذي يعيش فيه، وللحياة التي يحياها، فتكون في النهاية مكوناته كالآتي: الإنسان-الكون-الحياة"(١٥).

وكما هو معلوم فإنّ النظام المعرفي الغربي يقوم على جملة من الافتراضات المعرفية والمنهجية

١٥- عبد العزيز بوالشعير، **النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي** (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٤م) ص٣١٣.

والوجودية. يقدّم فيها رؤيته الشاملة للعالم يجيب فيها عن الأسئلة الكبرى والنهائية، صبغته في النهاية صبغة علمانية، تنكر الدين والغيب وتؤمن فقط بما هو طبيعي مادي، شكلت له في النهاية هوية مميزة له عن غيره من الأنظمة المعرفية كالنظام المعرفي الإسلامي مثلا. يلخص الدارسون للغرب ونظامه المعرفي هذه الهوية في النقاط الأربع الآتية:

١. رؤية خاصة للعالم.

٢. منظومة المعتقدات.

٣. هوية اجتماعية مشتركة(١٦).

١. **تشكيلا مؤسّسيا (الغرب والمؤسّسة)**: كيف تشكّل الغرب في إطار مؤسّساتي؟ وما هي أنظمته الإدارية والسياسية والقانونية؟ ما طبيعة منظوماته التشريعية؟ كيف لعبت المؤسّسة (المنظمة) دورا في تأطير وعي الأفراد وحركاتهم داخل بنية المجتمع الفكرية والسياسية والاقتصادية والتنموية والحضارية؟ كيف نقلت المؤسسة المجتمع الغربي من حالة الفوضى والاضطراب التي كان يعيشها إلى حالة النظام والاستقرار؟ كيف بنى الغرب فلسفة النظم وأشكالها ووظائفها المدنية؟

٢. **منظورا قيميا: (الغرب ومنظومة القيم)**: ما هي منظومة القيم الغربية المصاحبة لتشكّله والملازمة لمساره التطوري في التاريخ الحديث والمعاصر؟ ما هي الخلفية الفلسفية والدينية لبناء نظرية القيم في الغرب؟ ما طبيعة القيم الغربية؟ لماذا تمحورت قيم الغرب على المادة والمنفعة والسلعة والاستهلاك؟ لماذا وكيف يعيش الغرب أزمة قيمية؟ ما هي آفاق تجاوز الغرب لأزمته القيمية؟ يصف ألفين توفلر هذه الأزمة بقوله: "لقد عاش المجتمع الغربي خلال القرون الثلاثة الأولى الماضية وسط عاصفة نارية من التغيير، هذه العاصفة بدلا من أن تهدأ، تلوح وكأنها تجمع

١٦- فتحي حسن ملكاوي، **طبيعة النظام المعرفي وأهميته**، ضمن كتاب: **نحو نظام معرفي إسلامي**، تحرير: فتحي حسن ملكاوي (فيرجينيا، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٠م) ص ٣٢، ٣٣.

قواها لهبة أشد عنفوانا، أن موجات التغيير تجتاح المجتمعات المتقدمة صناعيا بعنف متفاقم وسرعة مزايدة... إنها أيضا تستولد شخصيات شاذة: أطفالا في الثانية عشرة لا يبدون كأطفال، ورجالا في الخمسين يبدون كأطفال في الثانية عشرة... هناك كهنة متزوجون، وقساوسة ملحدون، ويهود بوذيون... والمنبهات والمهدئات، والغضب والوفرة، والنسيان"(١٧).

شكّل التغير الذي يعيشه المجتمع الغربي صدمة للفرد في نفسه ومجتمعه، فصار يخاف من ذاته ويخاف من صدمة المستقبل، نتيجة ما يعتري المجتمع من تغيير متسارع(١٨). فما موقع القيم الروحية والدينية من منظومة القيم الغربية؟ وما طبيعة فلسفة القيم التي تطبع المجتمع الغربي؟ هل حقّق الإنسان الغربي مستوى كافيا أو عالياّ من السعادة التي كان ينشدها منذ عصر التنوير وفلاسفته؟ في ظل هيمنة قيم الصورة والاعلام والاتصال في زمن العولمة ومبادئها وقيمها التي أفقدت الإنسان هويته الحقيقية وألبسته لبوس المادة والمتعة واللحظة والفردانية؟(١٩) كيف نفسّر ظواهر الانحلال والتفسخ في القيم الغربية المعاصرة؟ وما أبعاد ذلك على شخصية الإنسان الغربي نفسيا وذهنيا وسلوكيا واجتماعيا؟ ما تفسير ارتفاع معدلات الأمراض والعيادات النفسية في المجتمعات الغربية؟ كيف يمكن للغرب تجاوز حالات الانتحار والاكتئاب والانسحاب الفردي من المجتمع؟(٢٠).

٣. **بناءً حضاريا: (الغرب والحضارة)**: كيف بنى الغرب حضارته؟ ما هي السياقات

١٧- آلفين توفلر، **صدمة المستقبل، المتغيرات في عالم الغد** (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٧٤م) ص ٩، ١٠.

١٨- المرجع نفسه، ١١.

١٩- ينظر: جيل ليبوفتسكي، **عصر الفراغ الفردانية المعاصرة وتحولات ما بعد الحداثة**، ترجمة: حافظ إدوخراز (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٨م).

٢٠- ينظر: عبد العزيز بوالشعير، "مقارنة نقدية في العلاقة بين الحداثة والعلمانية من قلق السؤال إلى ارتباك المآل"، **مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية**، المجلد ٩، العدد ٢، أكتوبر ٢٠٢١م، الجزائر.

التاريخية والدينية لتشكّل الغرب الحديث والمعاصر؟ ما هي نظرية الغرب في البناء الحضاري للمجتمع الغربي؟ ما موقع الإنسان من بناء الحضارة الغربية؟ ما مدى ارتباط تشكل الغرب بالحضارة الإغريقية والرومانية القديمة؟ كيف ساهم التراث الإغريقي الفلسفي والعلمي والأسطوري في بناء حضارة الغرب وثقافته؟ ما طبيعة علاقة الغرب بالحضارات والثقافات الأخرى؟ ما هي شروط نهضته الحضارية؟ ما هي القيم المشكلة للمعادلة الحضارية الغربية؟ وما هو النظام المعرفي لهذه الحضارة؟ بل كيف اعتبِرت الحضارة الغربية نسقا متميزة عن غيره من الأنساق؟

٤. **منجزا ماديا: (الغرب ومنجزاته)**: ما أنجزه الغرب على المستوى المادي؛ طبيعته، قيمته، حدوده، انعكاساته على حياة الأفراد والمجتمعات، ما أنجزه العقل الغربي على المستوى الصناعي والتكنولوجي، ما طبيعة العمران البشري والمادي الغربي؟ ما شكل المدن والتجمّعات السكانية والصناعية؟ ما تأثير المنجزات المادية الغربية على البيئة؟ ما ملامح الاقتصاد الذي يعيشه الغرب؟ لماذا يعتمد الغرب النظام الاقتصادي الرأسمالي؟ ما وجه العلاقة بين الرأسمالية والليبرالية؟ ما هي آفاق الاقتصاد الغربي في ظل قيم العولمة واتجاهاتها وأزماتها وتحدياتها؟

٥. **أفقا تقنياً واتصالياً: (الغرب والتقنية والاتصال والعولمة)**:كيف انتهى الغرب إلى ما يسمّى بالعولمة؟ هل الغرب يمثّل الخصوصية أم الكونية؟ بل كيف يمكن حل هذه المفارقة؟ ما هو الخصوصي والكوني في نسق الغرب الوجودي والمعرفي والقيمي؟ (العولمة والكونية والعالمية) ما دور الثورة الرقمية والاتصالية في بلوغ العالم مستوى من العولمة؟ كيف أثّرت العولمة على ثقافات الأمم الأخرى؟ كيف ساهمت ثقافة الصورة في بناء الوعي لدى الأفراد والمؤسسات؟ كيف ساهمت ثورة الإعلام في انتقال الإنسان إلى حالات من الاغتراب عن حقيقته؟ بل كيف ساهمت هذه الثقافة في خروج الإنسان الغربي عن طبيعته وفطرته؟

٦. **خصائص حضارية: (الغرب وخصائصه)**: إن فهم الغرب في حقيقته وعمقه يفرض علينا دراسة ومعرفة ما يمتاز به من الخصائص التي تميّز نسقه الثقافي والحضاري عن غيره من أنساق الحضارات والأمم الأخرى، ولعلّنا نذكر بعضا منها على الإجمال دون تفصيل: الخصائص المعرفية وذهنية ونمط التفكير، الخصائص النفسية والسلوكية ونمط التدبير، الخصائص القيمية وأنماط الفعل، الخصائص السياسية؛ والممارسة الديمقراطية وطبيعة نظمه، الخصائص الاجتماعية وبنية مجتمعه، الخصائص الاقتصادية وأشكال الإنتاج و نمط تسويقه، الخصائص الجيو استراتيجية وكفاءة التخطيط والتدبير واستشراف مستقبله.

المبحث الثاني: منهج علم الاستغراب

قد يتساءل سائل عما إذا كان هنالك منهج محدّد لدراسة الغرب وعلم الاستغراب، يلتزم به العالم أو الباحث حين يسعى إلى تأسيسه، والسؤال المركزي الذي يواجهنا من الناحية الابستيمولوجية والمنهجية للبحث في هذا العلم هو الآتي: كيف ندرس الغرب ونؤسّس علم الاستغراب؟ وبأي منهج ندرسه؟ وهل يمكن للاستغراب أن يصير علما قائما بذاته مستقلا عن العلوم الأخرى في الدراسات الاجتماعية والحضارية؟ بتعبير آخر؛ ما هو المنهج المناسب لدراسة الغرب؟ أو ما هي المناهج التي يمكن استخدامها في دراسة الغرب وفي تأسيس علم الاستغراب؟ وضمن أي مجال نصنّفه؟(٢١).

✓ **المنهج الظاهرياتي (الفينومينولوجي)**: تقتضي الدراسة العلمية لموضوع الغرب دراسة أن نبدأ من بدايات تأسيسه قبل الوصول إلى نتائجه، الغرب كما يتبدى لوعينا باعتباره وعيًا خالصًا يظهر لنا، فندركه كمعطى متنوع لامتناهي وثري. دراسة الغرب كما هو في بنيته ومكوّناته وتطوّره

٢١- ينظر: عبد العزيز بوالشعير، "مساءلات نقدية في دراسة الغرب، محاولة منهجية في تأسيس علم الاستغراب"، **مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد ١٠، العدد ٦٧، فيفري ٢٠٢٣م. صنعاء، الجمهورية اليمنية.

وآثاره؛ بمعنى، أن نبدأ بلا فروض أو أحكام وخلفيات مسبقة، حتى نستطيع الكشف عن ماهيته الحقيقية. ذلك أنّ المنهج الظاهرياتي يركز على علم البدايات الصحيحة كما يقول إدموند هوسرل(ت١٩٣٨م)، بحيث يقتصر الباحث في موضوع الغرب على ما هو ضروري ويقيني فيه(٢٢)، وأن يبتعد قدر الإمكان عن المقاربات الايديولوجية المغلقة أو المغلّفة برؤية العالم المغايرة له ذات الحمولة المعرفية والدينية أو التحيزات المعرفية والنفسية أو العرقية؟ وبالتالي ندرس الغرب كتجربة خالصة منشغلة باليومي بكل أبعاده والعوامل الفاعلة فيه، المعبّرة عن وعي الإنسان الغربي لنفسه وللحياة. ولهذا نحتاج إلى إدراك باطن الغرب قبل ظاهره، فالمنهج الفينومينولوجي هو الكفيل بإعطائنا صورة الإنسان الغربي من الداخل لا يمكن ملاحظته من الخارج فقط(٢٣).

١. **المنهج التحليلي**: تحليل البنيات الثقافية والمعرفية والعلمية للغرب، والعمل على تفكيكها إلى عناصر ومكوّنات تساعدنا على فهم بنيته وتحليل النصوص المؤسّسة للخطاب الفكري والعلمي والديني الغربي. تحليل بنى الغرب وأطره المنهجية التي أطرت الوعي الغربي ومسلماته المعرفية، وفلسفاته في الوجود والمعرفة والقيم.

٢. **المنهج التاريخي**: تحتاج دراستنا للغرب إلى تتبع مساره وتطوره التاريخي، ورصد لمتغيراته في الفكر والعمل، في الفلسفة والعلم، في الفنون والآداب، والوقوف على كبرى التحوّلات المعرفية والتغيرات الواقعية التي عرفها الغرب في انتقاله من عصور الظلام إلى عصر الأنوار والحداثة، ثم انتقاله من عصر الحداثة إلى عصر ما بعد الحداثة، بمعنى؛ دراسة الغرب على محور الزمن، إرهاصات نشوئه، وتحديد البدايات الأولى لتشكّله، اللحظات الكبرى في تعدّد تمظهراته، تاريخ أفكاره

٢٢- محمود زيدان، **مناهج البحث الفلسفي** (بيروت: دار الأحد، ١٩٧٤م) ص ٦٥، ٦٦.

23- Pierre GUENANCIA**: L'immédiat et son reste** ; in. Un siècle de philosophie (1900-2000) (Paris:Gallimard;;2000) p330:331,

ومناهجه ونظرياته في الفلسفة والعلوم والآداب والفنون. عوامل تطوره وخصائص كل مرحلة من مراحله، واستخلاص خصائص كل مرحلة، آفاقه ومستقبله ومصيره ونهايته في التاريخ، وكيف أن بعض المؤرخين الغربيين انتهوا إلى حقيقة عبروا عنها بأننا نعيش مع مطلع القرن الحادي والعشرين نهاية(٥٠٠) عام من صعود الغرب وبالتالي فإنّ تطبيق المنهج التاريخي في دراستنا للغرب وفي تأسيسنا لعلم الاستغراب يبيّن لنا كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب(٢٤). بل إن العودة إلى تاريخ الغرب بالدرجة الأولى يمكننا من الإجابة عن سؤال طالما أرق الباحثين والمؤرخين وهو: "لماذا تمكّنت حفنة من الدول الصغيرة الواقعة عن الطرف الغربي من أوراسيا (كتلة أوروبا وآسيا)، بدءًا من العام ١٥٠٠م، من السيطرة على بقية العالم. وهي مساحة تضم بعض أكثر المناطق كثافة سكانية، وبعض أكثر المجتمعات تقدّمًا في شرق أوراسيا؟ أما السؤال الفرعي فقد كان على هذا النحو: إذا تمكّنا من الحصول على تفسير مقنع عن صعود الغرب في الماضي، فهل سنستطيع تقديم توقّعات لمستقبل ذلك الصعود؟ هل يعني ذلك حقا نهاية عالم الغرب؟ وقدومٍ للحقبة الشرقية الجديدة؟(...) وأنّ هذه الحضارة قد وصلت أخيرًا إلى أوجها في خلال أعصر الثورة، والصناعة، والحكم الإمبراطوري؟"(٢٥).

٣. **المنهج البنيوي**: ندرس الغرب كبنية متداخلة العناصر، كل عنصر من عناصره يدخل في تركيب بنية ظاهرة الغرب، هناك تأثير وتأثر بين مكوّناته، جعلته يختلف عن الأنساق الثقافية والقيمية والحضارية الأخرى. مثال: ظاهرة الاندماج الاجتماعي للإنسان الغربي، كيف ساهمت الثقافة في تشكيل بنية المجتمع وسلوك أفراده، مثل ثقافة الطبيب، ثقافة المهندس، ثقافة الفلاح، ثقافة

٢٤- نيال فرغسون، **الحضارة كيف هيمنت حضارة الغرب على الشرق والغرب؟**، ترجمة: سعيد محمد الحسنية (بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠١٩م) ط ٣، ص١٣.

٢٥- المرجع السابق.

المعلم، كلّها تعكس منظومة ثقافية واحدة تعبّر عن روح المجتمع الغربي وثقافته وقيمه وسلوكه وممارساته.

٤. **المنهج المركب وابستيمولوجيا التعقيد**: نظرا لتعقّد الغرب وكثرة عوامل نشوئه وتعدّد عناصره وتشابك فواعله المؤثرة فيه، فإنه لا يمكن فهمه وتفسيره في إطار هيمنة منظومة التبسيط التي اعتمدها ديكارت في القرن السابع عشر، فقد قامت منظومته التبسيطية على منهجية علمية اختزالية وكمية قامت بتنظيم الكون عن طريق اختزاله في كيانات وجواهر مغلقة وثابتة وخالدة لا تعرف التناقض، وهذه المنهجية برأي إدغار موران حكمت لاوعي الغرب ونظرياته وخطاباته، ولهذا لابد من الانتقال إلى منظومة معرفية ومنهجية جديدة تُدعى بابستيمولوجيا التعقيد والتركيب(٢٦)، وانطلاقا من تعقّد ظواهر الواقع الغربي فإننا لا يمكن اعتماد الابستيمولوجية الكلاسيكية، بل ينبغي اعتماد المنهج والفكر المركب كالذي قال به أبو القاسم حاج حمد(٢٧). ندرس الغرب كنسق ثقافي وقيمي وحضاري مركّب، لا يمكن اختزاله في جزئية أو عنصر أو نظرية أو عامل واحد بمعزل عن تفاعله وارتباطه مع العناصر الأخرى كما يرى إدغار موران(٢٨).

٥. **المنهج النقدي**: من خلال هذا المنهج يمكننا مساءلة الافتراضات الكبرى المؤسّسة للغرب: أعني الافتراضات الوجودية والمعرفية والقيمية(٢٩)، فنعمل على نقد النسق المعرفي الغربي ومسلّماته الوجودية وكبرى نظرياته القيمية. ننظر فيه كونه ظاهرة كبرى، ومن زاوية أخرى باعتباره ظواهر

٢٦- إدغار موران، **الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب**، (المغرب: دار توبقال الدار البيضاء ٢٠٠٣م) ص٦ وما بعدها.

٢٧- ينظر: أبو القاسم حاج حمد، **إبستيمولوجية المعرفة الكونية: إسلامية المعرفة والمنهج**، (بيروت: دار الهادي للطباعة والتوزيع، ٢٠٠٤م).

٢٨- ينظر: إدغار موان، **الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب**.

٢٩- يتم تفصيل ذلك في المبحث الرابع من البحث.

صغرى أو جزئية، وبالتالي لا يمكننا أن نكتفي في دراسته بالاستناد إلى زاوية دون أخرى، وهذا بغرض الكشف عن نقاط قوته ومواطن ضعفه. وبالتالي بيان مركزياته وسردياته التي أقام عليها حضارته. وكيف انتهى إلى شكل من التمركز حول الذات؟ نراجع نظرياته العلمية وأنساقه الثقافية، نفكك أزماته، نكشف نقاط قوته ونسعى إلى عرض كيفيات التفاعل والاستفادة منه. كما ندرس الغرب وهو في مرحلة العولمة، بما تحمله الكلمة من دلالات وأبعاد، وما ينجرّ عنها من أخطار وآثار، مسّت العالم أجمع في أبعاده المحلّية والعالميّة، وفي مستوياته الفردية والجماعية، وفي أشكاله الظاهرة والباطنة، وفي مآلاته القريبة والبعيدة. العولمة التي عبّر عنها البعض بـ"فخ العولمة" وما ستؤول إليه أوضاع العالم في ظل السياسة التي اعتمدتها الكثير من دول العالم الرأسمالي، وما يترتّب عنها من أشكال البطالة وصعوبة العثور على حلول أو بدائل لفرص العمل الضائعة وانتشار الخوف من ضياع فرص العمل بين العاملين في قطاعات شتى مصرفيّة ومكتبيّة وتأمينيّة وإعلاميّة وما إلى ذلك من مختلف القطاعات الحكومية والخاصة (٣٠).

المبحث الثالث: أهداف علم الاستغراب

تتضارب الكتابات حول أهداف تأسيس علم الاستغراب بين من يحدّها في فك الارتباك بيننا وبين الغرب، وبين من يرى فيها تحقيقا للمنفعة التي تساعدنا في اللحاق به ومنافسته في الريادة الحضارية للعالم، وبين من يلخّصها في نقده وإدراك مواطن قصوره ومكامن ضعفه، وفي محدودية نماذجه المعرفية والحضارية، وهذه الأهداف على صحتها فهي أهداف جزئية وأحيانا اختزالية لا ترق إلى المستوى الحقيقي الذي نريده من تأسيس علم الاستغراب، ولهذا نرى بأن أهداف هذا العلم

٣٠- هانس بيترمارتن وهارالد شومان، **فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية**، ترجمة: عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم: رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة، العدد:٢٣٨ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٦م).

يمكن أن تتلخّص في الآتي:

١. **المعرفة والفهم**: إنّ فهم الغرب ومكوّناته المعرفية وتطوراته التاريخية يمكننا من الوعي بمقولاته المركزية؛ كمقولة العقل والحس، والعقلانية والتجريبية، الثورة العلمية، أنساقه الفلسفية وتياراته الأدبية، الكون والإنسان، الفلسفة والعلم، العلمانية القائمة على الشك، العلم الطبيعي والإنساني، المناهج والأدوات، عقلنة الدين وعلمنة الحياة، التنوير والتقدّم، النزعة الإنسانية والحرية والتطور، النهضة والثقافة الإغريقية-الرومانية، حركات الإصلاح الديني، في مقابل هذا الجانب الطاغي على العقل الغربي تحت مسمى العقلانية، هناك جانب آخر رومانطيقي، حاول الوعي الغربي إبرازه في حركة الفكر وأساليب وفنون الحياة، عبّر عنها بوضوح جون جاك روسو...، والشاعر غوته....، وفلسفة ماكس شلر...، وشاعرية هردر...، والمدرسة الرومانطيقية الألمانية وغيرها من المدارس، والتي كانت ميّالة إلى أن يكون الناس "إنسانيين" في تقويمهم الرفيع لطاقات الإنسان واهتمامهم بموقف الإنسان من الكون في تمرّده على البنى التقليدية القمعيّة، في تمجيدها لعبقرية الإنسان الفردية(٣١). وغيرها من المقولات(٣٢)التي شكّلت الوعي الغربي وطبعت حضارته بطابع الحداثة وما بعد الحداثة والمادية والاستعمار وما بعد العلمانية وما بعد الاستشراق وما بعد الإنسان، وما بعد التاريخ...الخ(٣٣)

٣١- ريتشارد تارناس، **آلام العقل الغربي فهم الأفكار التي قامت بصياغة نظرتنا إلى العالم**، ترجمة: فاضل جتكر، (الرياض:مكتبة العبيكان، ٢٠١٠م) ص٤٣٦، ٤٣٧.

٣٢- ينظر: عبد الله إبراهيم، **المركزية الغربية إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات (منظور نقدي)** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧م).

٣٣- ينظر: حسن حنفي، **في الفكر الغربي المعاصر** (بيروت: المؤسّسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م).

كما يمكّننا علم الاستغراب من معرفة أهم نظرات الإنسان الغربي إلى العالم، بدءا بنظرة الإغريق، مرورا بالنظرة المسيحية وانتهاء بالنظرة الحديثة إلى العالم، وبتحوّلات الحقبة الحديثة التي نقلت الإنسان من صوره المتغيّرة بين كوبرنيك... وفرويد...، وهو في كل ذلك يزاوج بين الثقافة الدينية من جهة، والثقافة العلمية من جهة ثانية، يأبى في كل مرة أن يقبل بتفسير وفهم أُحادي للواقع، بل يبغي "الإقرار بتعدّدية الروح الإنسانية، وبضرورة الترجمة المطّردة فيما بين باقات المفردات العلمية والخيالية المختلفة"(٣٤).

٢. **التفسير**: التفسير أداة تحليلية لدراسة ظاهرة الغرب ومكوّناته وأبعاده وظواهره، والنظر في خلفيات الظاهرة وأصولها وأبعادها النفسيّة، الواقعيّة، العقديّة والحضاريّة، لإدراك الروابط القائمة بين الذات والموضوع من خلال الملاحظة والحس، وبين حالات الاتصال به والانفصال عنه، والتفسير هنا يبرز موقع الذات الإنسانية الفاعلة في عملية التراكم المعرفي، وتحيّزها إلى نموذج معرفي وثقافي وتوظيفه الإيديولوجي لفكرة النموذج الغربي. ويستخلص منها القاعدة المنهجية في دراسة الظاهرة الغربية مؤكّدا على استحالة الفصل بين الجوانب الإدراكية المعرفية للإنسان في البحث عن المعرفة، وباقي جوانب وجود الإنسان من النواحي الوجدانية والتراثية والذاتية والشعورية والخيالية، والدارس هنا يقف على علاقة الوجودي بالمعرفي(٣٥) ومثل هذه المناهج تساعدنا في استخلاص القواعد التي حكمت نشوء الغرب وتشكّله وتفوّقه، وتعرفنا بأيّ إطار يفكّر الغرب ويتصرّف في الواقع، وكيف صاغ مناهجه الفلسفية والعلمية وطبّقها على ظواهره الفكرية والعيانية وصولا إلى القوانين وسننها، وكيف

٣٤- ريتشارد تارناس، **آلام العقل الغربي**، ص٤٩٣.

٣٥- حجاج أبو جبر، **نقد العقل العلماني**، ص ٤٩، ٥٠.

يمكننا تجاوز بعض الأزمات التي وقع فيها الغرب نتيجة مخالفته لهذه السنن؟ وكيف يمكننا الاستفادة من بعضها الآخر وتسخيره لصالحنا(٣٦).

٣. **التأويل**: الغرب ظاهر وباطن، معلن وخفي، أوقع الكثير في مغالطات أبعدتهم عن الفهم الصحيح له، والإدراك العميق لخفاياه، وبالتالي إمكانية الحكم الصائب عليه، ولن يتحقّق ذلك إلا بتطبيق مناهج التأويل المختلفة بغرض الإحاطة بالغرب كظاهرة حضارية متميزة في التاريخ، نكشف خلالها عن الجانب الخفي فيه بإبراز النماذج المعرفية التي يفكّر بها الإنسان الغربي، المنبثقة عن رؤيته للعالم وإجاباته عن الأسئلة الكلّية والنهائيّة. ولهذا تتبدّى لنا حقيقة الغرب في ما هو خفي منه، فهو يبدي فقط حقيقته الظاهرة أو البادية للعيان، لكنه يحاول بقدر ما يملك إخفاء الجوانب المظلمة في حضارته وممارساته بل وفي خططه وآفاقه واستشرافه. كل ذلك يحتم علينا إعادة قراءته قراءة تأويلية صحيحة كونها مسألة ضرورية وحتمية معرفية ومنهجية تجنب العالم مخاطر الغرب وآفاته، وتخط مسالك جديدة، ونشق دروبا مغايرة له في الرؤية والمنهج والمقصد.

٤. **الحوار والتواصل**: مد جسور الحوار مع الغرب في مؤسّساته وأفكاره ومراكزه ومنتجاته المعرفية والعلمية والأدبية من منطلق الذات الحضارية المستقلة باسم الثقافة والتثاقف والتعارف، وتقديم بدائل من المعارف الدينية والتاريخية والعلمية لتكريس ثقافة التعدّد والتنوّع في ثقافات العالم ونماذجه المعرفية، وتجاوز ذهنية تغييب ثقافة الآخر التي كرّسها الغرب في بنية وعيه ومواقفه وعلاقته بثقافات الآخرين. ويكون ذلك بالانفتاح الواعي المبصر على تراث الغرب

٣٦- عبد الوهاب المسيري، **إشكالية التحيّز- المقدمة** (فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩٦م).

وعلومه بذهنية نقدية وإيجابية، تفصل بين غثّه وسمينه، عاجله وآجله، ظاهره وباطنه، مطلقه ونسبيته، نافعه وضاره(٣٧).

٥. **التزام مبدأ المسافة مع الغرب**: بفك الارتباط(٣٨) الفكري والعاطفي والمنهجي والحضاري معه، القائم لدى بعض نخبنا ومثقفينا على مستوى الرؤية والمنهج والمقصد، ذلك أنّ الفكاك من الغرب يساعدنا على تجاوز حدود التبعية وأشكال التقليد له في فلسفاته وفنونه وآدابه وصنائعه وإعلامه وخبراته وتجاربه، حتى نتمكّن من الانتقال إلى مرحلة بناء الذات الحضارية المستقلة عن الآخر، القادرة على إعادة صناعة ذاتها على المستويين النظري والعملي، على مستوى الوعي وعلى مستوى الفعل، تحرّرها من تأثيرات الغرب وتحيزاته الفكرية والنفسية ونظرياته العرقية وخلفياته الفلسفية والدينية ومخاطره الإيديولوجية والوجودية، ولا يعني ذلك انغلاق الذات المطلق على الآخر، بل بضبط حدود العلاقة، بما يسمح لها بالتزام مبدأ المسافة معه، وهذا المبدأ على صعوبته إلا أنه مع الزمن يمكن تحقيقه في الواقع(٣٩).

٦. **النقد وتصويب المسار**: يقوم مشروع تأسيس علم الاستغراب على قراءة تحليلية تفسيرية أولًا، ثم قراءة نقدية تقييمية ثانيًا، بالكشف عن معالم قصوره ومواطن ضعفه وجوانب انحرافاته في الفكر والعقيدة والحياة. وكذا نقد رؤيته الوجودية المتمركزة على الإنسان والطبيعة التي أهملت

٣٧- ينظر: منى أبو الفضل، **الحوار مع الغرب آلياته-أهدافه-دوافعه**، (دمشق: دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م).

٣٨- ينظر: حسن حنفي، **مقدمة في علم الاستغراب** (القاهرة: الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٩١م).

٣٩- ينظر: عبد العزيز بوالشعير: "آفاق الحداثة العربية مساءلات نقدية"، **مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية**، كلية الشريعة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية، المجلد ١٦، العدد ٢، ٢٠٢٠م، ص٣٩٥وما بعدها.

واستبعدت عاملي الدين والوحي(٤٠). النقد الذي يجعل من النظام المعرفي الغربي ورشة فكرية ودوائر بحثية فردية وجماعية ومؤسّساتية، تنزع عنه صفة الأسطورة التي صنعها الإنسان الغربي عن نفسه، وبما رسمه طيلة القرون الماضية من أكاذيب وأضاليل، أكاذيب المذهب العقلاني الإغريقي في المقام الأول، وأضاليل المذهب الصوفي اليهودي-المسيحي، نزع أوهام الإنسان(٤١) الصانع للحضارة والتاريخ، الواضع لمعيارية غربية خاصة. واستخلاص مصادره هذا المنبثقة عن الطبيعة والإنسان، وكيف أنه اعتمد على العقل والحس كأدوات لهذا النظام؟ وكيف تمّت عمليات الاستبعاد للوحي ولكل مصدرٍ متعالٍ أو مفارقٍ لعالم الكون(٤٢) ونقد منظومة القيم الغربية المتمركزة حول الإنسان بما يريد تحقيقه من اللذة والمنفعة والمتعة والمصلحة والرغبة الآنية واستبعاد تام لكل قيم روحية أو دينية متعالية متسامية بالإنسان إلى مرتبة الفطرة والارتقاء إلى أسمى المراتب الروحانية والتعبّدية بتزكية الإنسان عقديا وفكريا وروحيا وسلوكيا واجتماعيا وتواصليا(٤٣). ولعل هذا ما كان يطمح إليه حسن حنفي في قوله "مهمة علم الاستغراب هو القضاء على المركزية الأوروبية... مهمة هذا العلم الجديد رد ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية بعد أن انتشر خارج حدوده أبان عنفوانه الاستعماري من خلال سيطرته على أجهزة الإعلام وهيمنته على وكالات الأنباء، ودور النشر الكبرى، ومراكز الأبحاث العلمية، والاستخبارات العامة"(٤٤).

٤٠- ينظر: عبد الوهاب المسيري، **دراسات معرفية في الحداثة الغربية**، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦م).

٤١- روجيه غارودي، **البنيوية فلسفة موت الإنسان**، ترجمة: جورج طرابيشي، (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٩م) ص٨.

٤٢- ينظر: عبد العزيز بوالشعير، **النظام المعرفي في الفكرين الإسلامي والغربي**، (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٤م).

٤٣- ينظر: عبد العزيز بوالشعير، "مساءلات نقدية في جدل العلاقة بين الغرب والعلمانية"، **مجلة المعيار**، المجلد ٢٥، العدد ٥٦، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية الجزائر، جوان٢٠٢١م.

٤٤- حسن حنفي، **مقدمة في علم الاستغراب** (بيروت: الدار الجامعية للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م) ص٢٤.

٧.**الترجمة**: تعد الترجمة فعلا ثقافيا مهما يتم من خلاله نقل التراث الغربي إلى اللسان العربي، يطلع فيه على رؤية الآخر ومناهجه وتعقله للمسائل وحله للمشاكل التي تواجهه، تتحقّق بواسطتها الاستفادة المباشرة من الآخر الغربي، وتحديد كيفيات الاستفادة منه كتراث إنساني يحتوي على بعض السنن التي أودعها الله في الكون والاجتماع البشري، خاصة ما تعلق منها بفلسفة الحضارة وسنن التاريخ وقواعد العمران البشري والمنطق الذي يحكم حركة الإنسان في التاريخ، بالاعتماد على آلية الترجمة لنصوصه الكبرى ومؤلفاته الكثيرة، في إطار مؤسّساتي بحثي يجعل من الغرب موضوعا للدراسة والتحليل والفهم والتفسير والتأويل.

المبحث الرابع: قضايا ومشكلات علم الاستغراب

لا يمكننا الحديث عن قضايا ومشكلات علم الاستغراب دون الإشارة إلى نظام الغرب المعرفي، الذي تتلخص كبرى قضاياه في الآتي:

١. **الافتراضات الوجودية**: القائمة على الرؤية الوضعية للعالم والتي ترى في وجود الحقيقة مستقلة عن الذات الإنسانية، فهي قائمة بذاتها في عالم الواقع، وأشياء الكون وحوادثه وظواهره تتحكم في سلوكها قوانين طبيعية صارمة، وتعميماتنا عنها يفترض أن تكون مستقلة عن الزمن والسياق.

٢. **الافتراضات المعرفية**: القائمة على الحداثة والعلمانية، حركة الاستنارة،، العقل والتقدّم، العقلانية والتجريبية، الرومانطيقية، منظومة العلم الطبيعي، منظومة علوم الكون، رؤية العالم.

جميع الأسئلة والافتراضات التي تكوّن موضوعات البحث في النظام المعرفي الغربي يتم اختبارها تجريبيّا ويتحقّق من صدقها واقعيّا وعمليّا، ومجمل الأسئلة التي تتصل بالنظام المعرفي هي:

- على ماذا يقوم معتقدك؟
- كيف تبرر معتقدك؟

- كيف يتأتى لك أن تعرف ذلك؟
- متى تتأكّد من أنك تعرف مباشرة بمسألة المصدر الأساسي للمعرفة؟

وتاريخ الفكر الغربي يعكس إلى حد كبير محاولات الدفاع عن مرجعيات النظام المعرفي الغربي، القائمة على العقلانية بما هي مرجعية وحيدة تقوم على وحدة العلوم(٤٥)، وهي مرجعية مادية.

٣. **الافتراضات القيمية**: التي تتناول موضوع حقوق الإنسان، الفصل بين السلطات الثلاث، منظومة القيم الغربية، الحق الطبيعي والقانون المدني، المنطق الوضعي الحديث، فلسفة الأخلاق وقواعد السلوك الإنساني، فلسفة الجمال والفن، جماليات محاكاة الواقع وتصويره في عالم الفن والأدب والمسرح، والجماليات الجيوسياسية التي كتب فيها فريديريك جيمسون في كتابه: **الجماليات الجيوسياسية: السينما والمكان في النظام العالمي** عكف فيه على التحليل النقدي لعدد من الأفلام السينمائية كي يبرز بحث الإنسان عن موقعه وموضعه في النظام الرأسمالي العالمي المعقد"(٤٦) مفهومه للخير وأشكاله، موقفه من الذات الإنسانية والعالم الذي يحيط بها، كيفية بناء الإرادة، كيفية تشكيل العواطف والمشاعر، طريقة بناء آمال الإنسان وتطلّعاته، الكشف عن الجانب الرومانطيقي في الإنسان والعالم.

وانطلاقا من الافتراضات الوجودية والمعرفية والقيمية التي قام عليها الغرب ونظامه المعرفي

٤٥- أحمد داود أوغلو، تحليل مقارن للنماذج المعرفية الإسلامية والغربية، **مجلة إسلامية المعرفة** (مجلة الفكر الإسلامي المعاصر)، السنة ٦، العدد٢٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا واشنطن، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١١.

٤٦- حجاج أبو جبر، **نقد العقل العلماني دراسة مقارنة لفكر زيغمونت باومان وعبد الوهاب المسيري**، (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٧م) ص١٧.

يمكننا القول أن الغرب يمكن دراسته من خلال محورين أساسيين: محور القضايا ومحور المشكلات، نوجزها في الآتي:

١. **القضايا الكبرى في علم الاستغراب**

١. الغرب ونسقه المعرفي، فلسفته في الوجود، منظومته القيمية، بنية الغرب وتشكّله، الغرب وبقية العالم، الغرب وأديان العالم. الغرب ونهاية التاريخ ونظرياته في الاستشراف.

٢. علاقة الغرب كنظام معرفي وسلوكي ونزعته الاستعمارية بالآخر التي مارسها على العالم بالكشف عن مختلف الممارسات وطبيعة العلاقات والمواقف التي كانت تحكمه مع الآخر.

٣. الخصائص النفسية والذهنية الاستعلائية والاستعمارية والتوسّعية التي امتاز بها الإنسان الغربي وحضارته(٤٧).

٤. التحيّز في العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية، ومحاولة تفكيك الإدراك السائد للحداثة الغربية وطريقة وعيه بالقضايا والمشكلات، ومنهجية عرضه لحل المشكلات.

٥. تقلّبات الفكر الفلسفي الغربي بين المثالية والمادية، وانتقاله من الفلسفة إلى العلم، ومن العلم إلى النقد والفن، ومن التحديث إلى الحداثة إلى ما بعد الحداثة في متتالية فكرية وشعورية، ومن فلسفة النهايات إلى فلسفة الما بعديات(٤٨)، ومن قوة الثقافة إلى ثقافة القوة، ومن حياة المعنى إلى الحياة بلا معنى، ومن فلسفة الأنساق إلى الفلسفة بلا أنساق،

٤٧- انظر: عبد العزيز بوالشعير، "قراءة نقدية في المداخل الكبرى للغرب ومحدداته محاولة المنهجية في تأسيس علم الاستغراب"، المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، **مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد ٦، المجلد ٧، المركز القومي للبحوث، غزة، دولة فلسطين، جوان ٢٠٢٣م.

٤٨- تشارلز تايلور وآخرون، **ما بعد العلمانية دراسة نقدية**، ترجمة: طارق عثمان (بيروت: نماء للبحوث والدراسات، ٢٠٢٢م) ص٩٣.

ومن قيم الحق إلى حق القيم، ومن مطلقية المعرفة إلى نسبية العلم، ومن الحداثة الصلبة إلى الحداثة السائلة(٤٩)، ومن اليقين إلى الشك والعدمية، ومن مواجهة المشكلات إلى مشكلات المواجهة.

٦. تراجع بعض الحركات الفكرية والاجتماعية كاليسارية مثلا، وتغوّل الحركة الفكرية الرأسمالية الإمبريالية وبسط نفوذها في العالم، وتحكّمها في مؤسّساته الفكريّة والسياسيّة والاقتصاديّة والإعلاميّة، وبروز حركات فكرية جديدة؛ كالنسبيّة الثقافيّة والتعدّدية الثقافيّة والنقد الأدبي والنسويّة والجندر والتمركز حول الأنثى...

٧. ظهور حركة وموجة الاستعمار ومدرسة الاستشراق وتياراته ومناهجه في دراسة الشرق، واعتماده الفلسفة الكولونيالية ثم انتقال الوعي الغربي إلى فلسفة ما بعد الكولونيالية في محاولة لتفكيك العقل الغربي الاستعماري والاستشراقي(٥٠).

٨. تحديد المداخل الكبرى في دراسة الغرب وتحليلها تحليلا نقديا، وبيان المحدّدات العامة له، كالمحدّد الاستعماري والنفسي وما ترتّب عنهما في تاريخ شعوب وأنظمة العالم الحديث والمعاصر، والمحدّد المعرفي، الفلسفي، العلمي، الديني، الأدبي والفني، السياسي، المؤسساتي، الجيوسياسي والاستراتيجي...الخ.

٩. كيف حكم الغرب العالم بفكره ورؤيته للعالم التي حدّدت موقعه ومواقفه من الآخر وانعكست على علاقاته وسلوكياته في الواقع المحلي والعالمي.

٤٩- ينظر: زيجمونت باومان، **الحداثة السائلة**، ترجمة: حجاج أبو جبر (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٦م).

٥٠- راجع أيضا: إدوارد سعيد، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة: محمد عناني (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م).

١٠. كيف أثّرت مواقف الغرب من الآخر على العالم في تعطيل نهضته الحضارية، واستغلال ثرواته المادية والبشرية والرمزية والثقافية، وتوجيه مدروس وممنهج لحركة الأفراد والشعوب في الاتجاه الذي يريده الغرب، بما يضمن مصالحه ويلبي حاجياته الآنية.

٢. المشكلات الكبرى لعلم الاستغراب

١) **الغرب ومشكلة المرجعية**: الفلسفية الإغريقية، فلسفة التشريع والقوانين الرومانية، العقيدة الدينية اليهودية المحرّفة، العقيدة المسيحية المحرّفة، والاندماج الذي وقع بينها وبين فلسفة أرسطو، تأثير الحضارة الإسلامية في نهضة الغرب الحضارية، تأثير المناهج الإسلامية في البحث وبناء العلوم في تشكيل العقل الغربي ونظامه المعرفي.

٢) **الغرب ومشكلة الإنسان**(٥١): المفاهيم الفلسفية حول الغرب والإنسان، أصوله التاريخية والمعرفية، موقع الإنسان في المجتمع والدولة، مبدأ الإنسان وقيمته، وظيفته الوجودية، مركزه في العالم، علاقاته بمحيطه، رؤيته للعالم.

٣) **الغرب وأزمة العلوم**: أزمة العلم الطبيعي والانتقال من الفيزياء الكلاسيكية إلى فيزياء النسبية، أزمة العلم الرياضي والانتقال من الهندسة الإقليدية إلى الهندسات اللاإقليدية، أزمة علم البيولوجية وتداعيات نظرية التطور وظهور الداروينية، والداروينية الاجتماعية، أزمة العلوم الإنسانية والاجتماعية وظهور مناهج البحث في الإنسان، علم الأخلاق والجمال وظهور فلسفات جديدة في الأخلاق ومنظومة القيم، علم الإعلام والاتصال. وتداعيات ذلك على العالم المعاصر من خلال شاشة العالم كما يسميها جيل ليبوفتسكي(٥٢).

٥١- ألكسيس كاريل، **الإنسان ذلك المجهول**، ترجمة: شفيق أسعد فريد، (بيروت:مكتبة المعارف).

٥٢- ينظر: جيل ليبوفيتسكي وجان سيرو، **شاشة العالم ثقافة-وسائل إعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة**، ترجمة: راوية صادق (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢م).

٤) **الغرب وأزمة القيم واختلالات المعنى**: معنى الوجود الإنساني، معنى القيم، معنى الـدين، معنى الإنسان وقيمته، معنى الخير وسبل تحقيقه، معنى الجمال، معنى الحق وكيفية بلوغه وتجسـيده في الواقع، معنى الأديان وآليات الحوار والتعايش بينها(٥٣).

٥) **الغرب ومشكلاته الحضارية**: أزمة الحضارة الغربية وسؤال المعنى الذي ظل يراود فلاسفة الحضارة، شروط بناء الحضارة الغربية ومنطق استمرارها وحفاظها على هيمنتها على العالم، مشكلة النهاية والمصير بما هو سؤال وجودي وقيمي برز مع بداية القرن العشرين. مشكلة الثقافة وأزمة المعرفة نتيجة الثورات العلمية والتغيرات الفكرية التي عرفها الغرب بعد منتصف القرن العشرين.

٦) **الغرب ومشكلاته الثقافية**: أزمة المنطق المتعـدّد القـيم، المنطـق الضـبابي في الغـرب، أزمـة الأخلاق والمشكلة الخلقية، مشكلة التوجيه للفرد والمجتمع الغربي، مشكلة غلبة العمل والتقنية عـلى حساب قيم الحق والخير والجمال في المجتمع الغربي، مشكلة اندماج المهـاجرين للغـرب مـن ثقافـات وعرقيات وأديان أخرى بهوياتها وأنماط سلوكها وتفكيرها وفلسفتها في الحياة(٥٤).

٧) **الغرب ومشكلة البيئة**: مشكلة الندرة في ثروات العالم، مشكلة تلوث المحيط، ظهور ثقـب الأوزون، ارتفاع درجـة حـرارة الكـون، سـيطرة الغـرب عـلى العـالم باسـتنزاف الثـروات الباطنيـة للأرض(٥٥)، تـدمير البيئـة بالتقنيـة وتـراكم مشـاكل الاسـتخدام النووي(تشـيرنوبل، أوكرانيـا...)

٥٣- ينظر: جيروم بندي، **تحرير القيم إلى أين؟** ترجمة: زهيدة درويش وجان جبور، مراجعة: عبد الرزاق الحليوي، (تونس:المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، منشورات اليونسكو قرطاج، ٢٠٠٥م).

٥٤- ريتشارد كوت وكريس سميث، **انتحار الغرب**، ترجمة: محمد محمود التوبة، (الرياض: العبيكان، ٢٠١٨م).

٥٥- إيان موريس، **لماذا يهيمن الغرب اليوم؟ أنماط التاريخ وما تكشفه لنا عن المستقبل**، ترجمة: روان القصاص، مراجعة: محمد كمال (بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٨م).

الصراع والحروب بين الدول، ظهور الفيروسات وصناعتها ونشرها في العالم.

٨) **الغرب وأزمة التقنية**: أثر استخدام التقنية على ظهور البطالة في المجتمع، مشكلة الآلة وضياع الإنسان وإمكانية الاستغناء عن خداماته في المجتمع. أتمتة الحياة وفقدان المعنى، تشيؤ الإنسان وانتشار ثقافة السلعة والاستهلاك اللامحدود غير المرشد، مشكلة تضخّم المادة والآلة وضآلة وهشاشة الإنسان.

٩) **الغرب ومشكلة النهاية والمصير**: كيف يجيب الغرب عن الأسئلة الكبرى المرتبطة بنهاية التاريخ والحضارة والحداثة؟ ما مصير الغرب أمام كل المشكلات والأزمات التي يعانيها ويواجهها يومياً على المستويات الفردية والجماعية والمؤسساتية والتي يسمّيها بعض نقاده بانتحار الغرب؟ هل الغرب أمام انحلال لنظامه المعرفي وتدهور لقيمه الأخلاقية والأدبية والحضارية؟ هل يشهد الغرب تحولا جذريا ينتهي به إلى شكل من العدمية كما سماها نيتشه؟(٥٦) أو يؤول به الأمر إلى الأفول والاحتضار بتعبير شبنجلر الذي يرى بأنّ الرجل الغربي شخص فخور ولكنه مأساوي، فرغم كفاحه وإبداعه فإنه لا يعرف غاية حقيقية يمكنه الوصول إليها؟(٥٧) إلى أيّ مدى يمكنه تجاوز أزماته وحل مشكلاته وتصويب مساره وإنقاذه لحضارته وتحقيق لإنسانيته التي ظل ينادي بها؟

المبحث الخامس: العوائق الابستيمولوجية لتأسيس علم الاستغراب

تتراوح العوائق الابستيمولوجية في تأسيس علم الاستغراب بين ما هو معرفي وما هو منهجي وأحيانا ما هو ديني أو شرعي، ذلك أن بعضهم يتساءل عن الفائدة التي نجنيها من تأسيس هذا العلم، بل ويذهب إلى أبعد من ذلك، حين يطرح بعضهم الموقف الشرعي من تأسيس علم

٥٦- ينظر: فريديريك نيتشه، **هكذا تكلّم زرادشت للمجتمع لا للفرد**، ترجمة: فليكس فارس، مراجعة وتدقيق: عيسى الحسن (الأردن: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م).

٥٧- أسوالد اشبنجلر، **تدهور الحضارة الغربية**، الجزء الأول، ترجمة: أحمد الشيباني، (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة).

الاستغراب؟ وما هي المخاطر الفكرية والدينية التي تنجر عن انخراط العقل الإسلامي في هذا العلم. وهل يشكّل علم الاستغراب أولوية شرعية للعقل الإسلامي المعاصر؟ بل وما طبيعة وفائدة المعرفة الناجمة عن هذا العلم؟ وهل المسلمون مستعدون لخوض غمار البحث والدراسة في الغرب؟ وهي كلها تساؤلات تعبر عن حالة من التردد أحيانا والتحفظ أحايين أخرى للعقل الإسلامي في تفاعله مع هذا الموضوع، موضوع تأسيس علم الاستغراب والحاجة إليه، خصوصا وأنّ معطيات الواقع المحلي والعالمي وظروف العالم وسياقاته المختلفة تدعونا إلى الوقوف أمام الغرب كظاهرة معرفية وحضارية وسياسية ومؤسساتية لابد من دراستها وفهمها وتفكيك عناصرها المكوّنة لها، ثم اتخاذ موقف واضح وواعي تجاهها، لهذا فالعقل الإسلامي مطالب بإعادة ترتيب وتنظيم مجموع المعارف والأبحاث التي كتبت حول الغرب في إطار ناظم معرفي ومنهجي ينتقل بالمعرفة من الفوضى إلى التنظيم، ومن السطحية إلى العمق، ومن اللاعلمية إلى العلمية، ومن الكثرة والتشتت إلى الوحدة والنسق، والتحرّر قدر الإمكان من سيطرة العقل العامي أو اللاعلمي كما يسمّيه غاستون باشلار(ت١٩٦٢م)(٥٨)، بتعبير أوضح نحن في حاجة إلى عبقرية وبراعة ذهنية تسمح لنا بالوصول إلى مستوى علم الاستغراب، نلتزم فيه بموضوعه ومناهجه ونعمل على تحقيق أهدافه والتعمق في دراسة قضاياه وتحليل مشكلاته، وتجاوز مختلف العقبات الذهنية والواقعية التي تعيق تحقيق علميته.

يمكننا أن نقسم هذه الصعوبات والتحديات التي تواجهنا في تأسيس هذا العلم إلى قسمين؛ قسم يدخل في ما يسمى بالعوائق الذاتية، وقسم يدخل تحت مسمى العوائق الموضوعية، ونلخصها في الآتي:

٥٨- غاستون باشلار، **تكوين العقل العلمي مساهمة في التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية**، ترجمة: خليل أحمد خليل (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ٢٠١٠م).

أولاً: العوائق الذاتية

١. التحيّز للنموذج المعرفي الإسلامي؛ حيث يتم دراسة الغرب في إطار الخلفية الدينية والمعرفية والحضارية الإسلامية، بما تحمله هذه الخلفية من حمولة إيديولوجية ومواقف ذهنية وحالات نفسية وشعورية تجاه الغرب وتاريخه وممارساته وعلاقاته مع العالم الإسلامي وحضارته(٥٩).

٢. الخوف من كل جديد؛ لأنّ هناك مقاومة ذهنية للأفكار الجديدة برأي العلماء(٦٠)؛ فالأذهان اعتادت على نمط معين من التفكير ودائرة معينة من العلوم ومستوى معينا من التفكر في الذات والآخر، يثبت ذلك تاريخ العلوم والاكتشافات العلمية التي قوبلت في أول ظهور لها بالرفض والتحفظ والمهاجمة أحيانا أخرى، رغم ما للتحفظ من فائدة في الواقع، وإلا لانتشار الكثير من الأفكار والمذاهب الضالة في المجتمع، ذلك أن العلم يقتضي قيام أفكار ونظرياته على الأدلة العلمية المقنعة.

٣. الذاتية النابعة من الأحكام المسبقة حول الغرب وثقافته وحداثته والموقف منه في ضوء خبرتنا ومعرفتنا الأولية حوله، الخلفية الفكرية والدينية للباحثين في الغرب، غلبة المواقف العاطفية والتعصّب الأعمى لكل ما هو تراثي ذاتي، غياب الرغبة الواضحة والإرادة المعرفية والمؤسساتية الجادة لدراسة الغرب ومحاولة فهمه.

٤. الخوف والحذر من الدعوة أصلا إلى تأسيس علم الاستغراب؛ بحجة أنّ ذلك ينتج عنه ما يسمى بالتغريب والاغتراب عن الذات الحضارية التي تفقد وعيها بذاتها وبلحظتها

٥٩- عبد الوهاب المسيري، **التحيز- المقدمة**، (فيرجينا:المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٨م).

٦٠- و. أ. ب. بقردج، **فن البحث العلمي**، ترجمة: زكريا إبراهيم، مراجعة: أحمد مصطفى أحمد، (بيروت: دار اقرأ، ١٩٩٢م) ط٥، ص ١٧٢.

التاريخية، وهذا خلط واضح بين المصطلحين والمجالين، فكثير من الناس لا يميز بين التغريب والاستغراب، وهو مؤشر على ضعف الرصيد المعرفي والمنهجي الكافي لدراسة الغرب أو القصور الفكري والمنهجي في بناء معرفة علمية حوله، يعكس في النهاية غياب الفهم الشامل والصحيح للغرب وحضارته، واختلال في بنية الوعي الإسلامي وثقافته.

٥. لم يفصل البعض في مسألة تحديد الأهداف الكبرى من تأسيس علم الاستغراب، ناهيك عن التداخل الحاصل لديهم بين الاستغراب والاستشراق وسياق كل واحد منهما ومبررات نشوئهما وطبيعة مهمتهما.

والنظر في مجموع هذه العوائق يرى بأنها تتلخص في ما هو معرفي ابستيمولوجي، وما هو منهجي، وما هو ثقافي، وما هو نفسي ذاتي...الخ.

ثانياً: العوائق الموضوعية

١. تتعلق بصعوبة تحديد مجال الغرب، بالنظر إلى تعدّده جغرافيا وثقافيا، فعن أي غرب نتحدث؟ ما موقع الثقافات الآسيوية منه؟ كاليابان مثلا؟ أو روسيا الاتحادية؟ هل نتبنى المفهوم الجغرافي أم المفهوم الجيواستراتيجي للغرب الذي تأسّس نتيجة تراكمات، وتطور في صيرورة تاريخية وتقدم في شكل متتالية فكرية وحضارية تمتد إلى أربعة قرون على الأقل؟ خصوصا وأنه "ليس الغرب غربا واحدا، وليس له حد مانع جامع على حد قول جورج قرم في كتابه الأخير بالفرنسية: **أوروبا وأسطورة الغرب**، الذي يعيد فيه موقف أوروبا من العالم الثالث إنما جاء خدمة للكنيسة التي شجعت التنصير ومولت الاستكشافات وباركت الاحتلال"(٦١). وهنا تطرح إشكالية موقف الغرب من الآخر،

٦١- علي بن إبراهيم النملة، **إشكالية المصطلح في الفكر العربي الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات**، ص٩٤.

أو موقفنا نحن من الغرب؟ هل ينبني هذا الموقف من الغرب السياسي الرسمي أم من الغرب الشعبي؟ والدليل على ذلك أن الغرب الشعبي له من السمات التي لا ترى في العالم الإسلامي عدوا أو خطرا يهدده، في مقابل الغرب السياسي الرسمي الذي يبني مواقفه وعلاقاته مستعينا بالمؤسسة الإعلامية من منطلق العداء للشرق الإسلامي.

٢. كما أنّ اضطراب مفهوم الاستغراب وعدم استواء مفهومه في دوائر البحث والتفكير في الغرب وحضارته شكل عائقا معرفيا كبيرا، فلا يزال لحد الآن لم يتبلور بالشكل الذي يسمح لنا بالقول أنّ مفهومه واضح ومحدّد، فهل يقوم هذا العلم في مواجهة الاستشراق أم لمواجهة التغريب؟ أم يقوم علم الاستغراب كضرورة معرفية وحضارية تفكّر في الغرب وثقافته وحضارته وآدابه وفنونه وعادات أفراده وتقاليدهم. ولذلك طرح سؤال حول من هو المستغرب؟ هل هو الذي تأثّر بالغرب وفكره وفلسفته ومناهجه وعاداته وسلوكياته ونمط حياته أم أنّ "المستغرب" هو الذي يتبحّر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها..."(٦٢) ما جعل البعض من الباحثين يتساءل "هل نستطيع أن نتكلّم عن وجود نمط من الكتابة العربية يمكن أن نسمّيه علم الاستغراب العربي؟ يعني كتابة منظّمة تتّسم بالتنميط الثقافي للغرب في مقابل علم الاستشراق الغربي؟"(٦٣).

٣. أليس هناك تعدّدا وتفاوتا في مستويات تطور الغرب، لأن المستوى الحضاري ليس على مستوى واحد؟ فغرب أوربا ليس كشرقها، وشمالها ليس كجنوبها، ومستوى أمريكا ليس كمستوى أوروبا، وهكذا.

---

٦٢ - علي بن إبراهيم النملة، **كنه الاستغراب المنهج في فهمنا الغرب** (بيروت:بيسان للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م) ط٢، ص٢٤.

٦٣- المرجع نفسه، ص١١١.

٤. تعدّد أديان الغرب ومذاهبه، فالبروتستانتية ليس كالكاثوليكية، وليس كالأرثوذوكسية، هذا على مستوى الديانة المسيحية، والأمر كذلك مع الديانة اليهودية، ومع الدين الإسلامي الذي صار حاضرا بشكل لافت في المجتمع الغربي وإن بنسب وأشكال مختلفة ومتفاوتة. ما جعل الغرب ظاهرة معقدة ومركبة تتداخل في تشكيله عوامل ثقافية وسياسية ونفسية وعسكرية وتقنية واجتماعية إنسانية وإعلامية.

٥. بروز النسبية والتعدّدية الثقافية(٦٤)، فلم تعد الهيمنة لثقافة واحدة، بل صار العالم يشهد تنوعا وتعددا في الثقافات وقيمها وأنماط التفكير والسلوك، مثل الوجود الإسلامي في الغرب الذي ظل يتنامى بشكل لافت، رسخ مفهوم التعايش بين الثقافات، بل صار مؤثرا في ثقافة المجتمع الغربي وداعيا إلى قيم الإسلام وطريقة بناء الأسرة بالمحافظة على الهوية الإسلامية، ومنهجية المسلمين في التعليم وأساليب حياتهم ما أفضى في النهاية إلى تغيير الصورة النمطية للغرب عن الإسلام والمسلمين. لقد أصبح المجتمع الغربي خليطا من عرقيات مختلفة أوروبية وآسيوية وإفريقية ومن أمريكا الوسطى والجنوبية بفعل عامل الهجرة التي أفرزت أشكالا من التأثير والتأثر والتثاقف والتعارف زالت معها أشكال الفجوة العرقية والثقافية التي كانت مهيمنة لفترات طويلة(٦٥).

٦. يعرف الغرب في مؤسساته ومراكز أبحاثه ما يسمى بمنطق المراجعة والنقد الذاتي، وليس أدل على ذلك مما كتبه مفكرو الغرب حين انتقدوا الحضارة الغربية ونظرياتها في الدين

٦٤- ينظر: مبروك المنصوري، **الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية الاستشراق، الهوية، والقيم الدينية عند العرب والغرب واليابانيين**، (تونس: الدار المتوسطية للنشر، ١٤٣١هـ).

٦٥- علي بن إبراهيم النملة، **مناحي التأثر والتأثير بين الثقافات المثاقفة بين شرق وغرب** (بيروت:بيسان للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م) ط٢، ص٦٣، ٦٧.

والفلسفة والعلم والآداب والفنون، وانتقال وعيه من مرحلة وفلسفة الحداثـة إلى مرحلـة وفلسفة ما بعد الحداثة، وبروز سؤال النهايات في الخطاب الفلسفي على الأقل.

يمكن تلخيص العوائق الابستيمولوجية لتأسيس علم الاستغراب بحسب أصنافها في الآتي:

- عوائق تتعلق بالموضوع المدروس.
- عوائق تتعلق بالذات الدارسة للموضوع.
- عوائق تتعلق بالمنهج والأدوات.
- عوائق تتعلق بالقضايا والمشكلات.
- عوائق تتعلق بالأهداف والغايات.

والسؤال الذي يطرح هنا، كيف نتجاوز هذه العوائق؟ وما هي الآليات الكفيلة بتحقيق ذلك؟ والكثير من هذه العوائق يمكن معالجتها في إطار رؤية معرفية ومنهجية معينة تنطلق من رؤية وقيم الذات الحضارية، بما تملكه من رصيد معرفي وتراث علمي زاخر ومنجز منهجي هائل، وهذا الرصيد إن أُحسن توظيفه في إطار ابستمولوجيا إسلامية واضحة ستسمح لنا بالانتقال بهذا العلم من صورته التراكمية إلى صورته البنائية القائمة كعلم مستقل، منسجم مع النسق المعرفي الإسلامي، ينهل من مرجعيته ويتوسّل بأدواته ويقصد إلى تحقيق مقاصده الحضارية الاستخلافية، ويكون ذلك بنضج تصورنا حول هذا العلم، وتهيئة الذهن بالتفكير الواعي في تحديد موضوع علم الاستغراب، وبيان مناهج دراسته، والقدرة على ضبط أهدافه وطرق معالجة قضاياه ومشكلاته.

ولهذا فإنّ عمليّة التحرّر من القيود أو العقبات التي تواجهنا في تأسيس علم الاستغراب تصبح ضرورية، يتم فيها قطع الحبل مع أنماط التفكير القائمة والمتوجّسة من قيام هذا العلم، وعليه فمناقشة هذه العقبات تكون مهمة القائمين على هذا الحقل المعرفي الجديد، لأنّ الاستمرار في الاشتغال بهذا العلم يُكسب العقل الإسلامي معرفة علمية بالغرب، ويمكنه من بناء استراتيجية

التعامل معه بما يتوفر لدى الغرب من خبرات وتجارب يمكن الاستفادة منها وتسخيرها لصالح الذات الحضارية المسلمة، واختبار وتقييم ما يعانيه الغرب من أزمات ومآسي نقدا علميا ومنهجيا يبقي العقل الإسلامي مرنا وحذرا من كل ما من شأنه أن يعطّل فعاليته وحركته في التاريخ.

الخاتمة

انتهينا في هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١. الحاجة إلى تأسيس علم الاستغراب وفق الشروط المعرفية والمنهجية كغيره من العلوم التي قامت على مثل هذه الشروط، من خلال اتباع نموذج معرفي معين ينتقل بهذا العلم من مرحلة التكديس والتجميع للدراسات والأبحاث حول الغرب إلى مرحلة البناء المعرفي له، و الانتقال به من مرحلة الأخذ من الغرب إلى مرحلة العطاء، وفق رؤية واضحة المعالم.

٢. يعد تحديد موضوع علم الاستغراب متطلبا منهجيا ومعرفيا لتأسيس هذا العلم وإنضاج مباحثه وقضاياه، لأن عدم التحديد يدخل ضمن دائرة العوائق الابستيمولوجية التي تعيق استكمال عملية التأسيس والبناء لهذا العلم.

٣. أنّ تحديد أهداف علم الاستغراب مهم جدا حتى لا يتداخل هذا العلم مع غيره من العلوم والأبحاث، كالاستشراق مثلا، أو الدراسات الثقافية والحضارية، رغم ما لهذه العلوم من علاقة وطيدة بمباحثه. ولهذا ينبغي أن يرتبط هذا العلم بالمؤسسة الرسمية للدولة، تتبناه ضمن استراتيجية فهم الغرب وبناء آليات التعامل معه ومواجهة تحدياته وأزماته.

٤. معظم الكتابات والأبحاث التي قامت في علم الاستغراب انخرطت مباشرة في مسائل العلم ومباحثه قبل تأسيس فلسفة واضحة لهذا العلم، لأن قيام علم ما يحتاج من

الناحية المنهجية إلى الفصل في ثلاث مسائل أساسية: الموضوع- المنهج- الهدف، ما جعل أغلب الكتابات في هذا العلم تفتقر إلى الناظم المعرفي والمنهجي الذي يحكم عملية التفكير والبحث فيه.

٥. ضرورة الفصل بين دراسة الغرب وعلم الاستغراب، أو بين مضمون العلم وفلسفة العلم. لأنّ البحث في الغرب أخذ حيزا كبيرا من دائرة التفكير العربي الإسلامي منذ الحضارة الإسلامية إلى غاية عصرنا الراهن، لكن الغرب حضاريا عرف تطورا كبيرا، انتقل من مرحلة الضعف إلى مرحلة القوة والحضارة والنفوذ والهيمنة، في حين انتقل العالم الإسلامي من مرحلة الأوج والتألق والريادة الحضارية إلى مرحلة السقوط والانحطاط، ما يشير إلى عدم تكافؤ مستويي: الدارس والمدروس.

٦. عرف علم الاستغراب تطورًا في موضوعه وتعددًا في مناهجه ونضجًا في بلورة بعض أهدافه، لأنه انتقل من البحث في تاريخ علم الاستغراب في تراثنا الإسلامي إلى البحث في واقع العلم وحاضره ومستقبله.

٧. ثمة عوائق ابستيمولوجية ذاتية وموضوعية تحول دون تحقيق علم الاستغراب لأهدافه بشكل علمي وموضوعي يسمح لنا بدراسة الغرب وفهمه، وبيان منهج التعامل معه، ولهذا ينبغي العمل على بناء استراتيجية واضحة لتجاوز هذه العوائق وفق منهجية علمية محدّدة، خصوصا ما ارتبط منها بالعوائق الذاتية.

التوصيات

١. الاهتمام بالشروط المعرفية والمنهجية لتأسيس علم الاستغراب، والانتقال من مرحلة التراكم في الكتابة إلى مرحلة بناء العلم وفق الإطار الابستيمولوجي.

٢. ضرورة الإفادة مما كتب في علم الاستغراب خصوصا في المرحلة الأخيرة بغرض جمع مسائله ومشكلاته ثم تبويب مباحثه وتصنيف وترتيب قضاياه وفق منهجية علمية منظّمة ودقيقة.

٣. الفصل بين دراسة الغرب وعلم الاستغراب، أو بين العلم وفلسفة العلم، والانتقال من البحث في الغرب إلى الكتابة في علم الاستغراب، وفق رؤية معرفية أصيلة ومناهج علمية منسجمة مع الرؤية ومحقّقة لمقاصدها.

٤. تكثيف الجهود الفردية والجماعية من أجل تذليل الصعاب وتجاوز العوائق الابستيمولوجية لتأسيس علم الاستغراب من خلال فرق البحث ومراكز الدراسات والتفكير الاستراتيجي في شكل ندوات وحلقات بحثية ومؤتمرات علمية.

References

1. Al-Qur'an
2. ʿAbd al-Raḥmān Ḥilmī, ***al-Masʾalah al-Insāniyyah fī al-Fikr al-Gharbī: Ruʾyah Tārīkhiyyah Naqdiyyah*** (Beirut: Markaz Namāʾ li-al-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, 2013).
3. ʿAbd al-Wahhāb al-Masīrī, ***al-Ilmāniyyah al-Juzʾiyyah wa-al-Ilmāniyyah al-Shāmilah*** (Cairo: Dār al-Shurūq, 2002).
4. ʿAbd al-Wahhāb al-Masīrī, ***al-Insān wa-al-Kawn wa-al-Zamān: Ruʾyah ʿAqadiyyah*** (Cairo: Dār al-Shurūq, 2000).
5. ʿAbd al-Wahhāb al-Masīrī, ***Mawsūʿat al-Yahūd wa-al-Yahūdiyyah wa-al-Ṣihyūniyyah,*** (Egypt: Dār al-Shurūq, 1999).
6. ʿAbd al-Wahhāb al-Masīrī, ***Riḥlatī al-Fikriyyah fī al-Baḥth ʿan al-Judhūr: Ruʾyah Waṭaniyyah Islāmiyyah*** (Egypt: Dār al-Shurūq, 2002).
7. Abū al-Qāsim Ḥājj Ḥamad, ***Ibstīmūlūjiyyat al-Maʿrifah al-Kawniyyah: Islāmiyyat al-Maʿrifah wa-al-Manhaj*** (Lebanon: Dār al-Hādī, 2004).
8. Adrīn Kūkh, ***Ārāʾ Falsafiyyah fī Azmat al-ʿAṣr,*** trans. Maḥmūd Maḥmūd (Egypt: Maktabat al-Anglū al-Miṣriyyah; New York: Franklin Publishing House, 1963).
9. Ālfīn Tūflar, ***Ṣadmat al-Mustaqbal: al-Mutaghayyirāt fī ʿĀlam al-Ghad*** (Cairo: Dār Nahḍah Miṣr, 1974).
10. ʿAlī Ḥarb, Naqd al-Naqd (Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1993).
11. Alksīs Kāril, ***al-Insān Dhālika al-Majhūl***, trans. Shafīq Asʿad Farīd (Beirut: Maktabat al-Maʿārif, n.d.).
12. Aswāld Ashbinjilar, ***Tadahwur al-Ḥaḍārah al-Gharbiyyah, al-Juzʾ al-Awwal,*** trans. Aḥmad al-Shaybānī (Beirut: Dār Maktabah al-Ḥayāh).
13. Bārūkh Spīnūzā, ***Risālah Qaṣīrah Ḥawl Allāh, al-Insān wa-Rafāhuh,*** trans. Nabīl Fayāḍ (Munich: Dār Abkālū, 2020).

14. Chārlz Tāylūr wa-Ākharūn, ***Mā Baʿda al-ʿIlmāniyyah: Dirāsah Naqdiyyah,*** trans. Ṭāriq ʿUthmān (Beirut: Namāʾ li-al-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, 2022).
15. Ḥajjāj Abū Jabr, ***Naqd al-ʿAql al-ʿIlmānī: Dirāsah Muqāranah li-Fikr Zīghmūnt Bāwmān wa-ʿAbd al-Wahhāb al-Masīrī,*** (Doha: al-Markaz al-ʿArabī li-al-Abḥāth wa-Dirāsāt al-Siyāsāt, 2017).
16. Ḥasan Ḥanafī, ***Fī al-Fikr al-Gharbī al-Muʿāṣir,*** (Beirut: al-Muʾassasah al-Jāmiʿiyyah, 1990).
17. Ḥasan Ḥanafī, ***Muqaddimah fī ʿIlm al-Istighrāb,*** (Beirut: al-Dār al-Jāmiʿiyyah, 1992).
18. Ḥasan Ḥanafī, ***Muqaddimah fī ʿIlm al-Istighrāb,*** (Cairo: al-Dār al-Fanniyyah, 1991).
19. Ḥasan Ḥanafī, ***Tatawwur al-Fikr al-Dīnī al-Gharbī fī al-Asās wa-al-Taṭbīqāt,*** (Beirut: Dār al-Hādī, 2004).
20. Idghār Mūrān, ***al-Fikr wa-al-Mustaqbal: Madkhal ilā al-Fikr al-Murakkab*** (Morocco: Dār Tūbqāl, 2003).
21. Idwārd Saʿīd, ***al-Istishrāq: al-Mafāhīm al-Gharbiyyah*** **lil-Sharq**, trans. Muḥammad ʿAnānī (Cairo: Ruʾyah li-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ, 2006).
22. Ismāʿīl Rājī al-Fārūqī, ***Aṭlas al-Ḥaḍārah al-Islāmiyyah,*** trans. ʿAbd al-Wāḥid Luʾluʾah, rev. Riyāḍ Nūr Allāh (Riyadh: Maktabat al-ʿUbaykān; Virginia-Washington, USA: IIIT, 1998).
23. Īyān Mūrīs, ***Limaḏā Yuhaymin al-Gharb al-Yawm? Anmāṭ al-Tārīkh wa-mā Tukṯshifuhu lanā ʿan al-Mustaqbal,*** trans. Rawān al-Qaṣṣāṣ, rev. Muḥammad Kamāl (Beirut: Markaz Namāʾ, 2018).
24. Jāk Drīdā wa-Jiyānī Fātīmū, ***al-Dīn fī ʿĀlaminā,*** trans. Muḥammad al-Hilālī wa-Ḥasan al-ʿUmrānī (Casablanca: Dār Tūbqāl, 2006).
25. Jīl Līpūftskī wa-Jān Sīrū, ***Shāshat al-ʿĀlam: al-Thaqāfah, Wasāʾil al-Iʿlām wa-al-Sīnimā fī ʿAṣr al-Ḥadāthah al-***

Fāʾiqah, trans. Rāwiyah Ṣādiq (Cairo: al-Markaz al-Qawmī li-al-Tarjamah, 2012).

26. Jīl Lībūftskī, ***ʿAṣr al-Farāgh: al-Fardāniyyah al-Muʿāṣirah wa-Taḥawwulāt mā Baʿd al-Ḥadāthah,*** trans. Ḥāfiẓ Idūkhirāz (Beirut: Markaz Namāʾ, 2018).
27. Jīrūm Bindī (ed.), **al-Qiyam Ilā Ayn?,** trans. Zahīdat Darwīsh wa-Jān Jabbūr, rev. ʿAbd al-Razzāq al-Ḥulaywī (Tunisia: UNESCO & Bayt al-Ḥikmah, 2005).
28. Jūliyyān Frūnd, ***ʿIlm al-Ijtimāʿ ʿinda Māks Fībir,*** trans. Taysīr Shaykh al-Arḍ (Damascus: Wizārat al-Thaqāfah, 1967).
29. Muḥammad ʿĀbid al-Jābirī, ***al-ʿAql al-Akhlāqī al-ʿArabī*** (Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 2001).
30. Muḥammad ʿĀbid al-Jābirī, ***al-ʿAql al-Siyāsī al-ʿArabī: Muḥāwalah fī Taḥlīl al-Binyah al-Siyāsiyyah al-ʿArabiyyah*** (Beirut, Lebanon: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1990).
31. Muḥammad ʿĀbid al-Jābirī, ***al-Dīn wa-al-Dawlah wa-Taṭbīq al-Sharīʿah*** (Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1996).
32. Muḥammad ʿĀbid al-Jābirī***, al-Fikr al-ʿArabī fī al-ʿAṣr al-Ḥadīth*** (Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1990).
33. Muḥammad ʿĀbid al-Jābirī, ***al-Naqd al-ʿAqlī li-al-Ḥadāthah*** (Morocco: Dār al-Nashr al-Maghribiyyah, 1990).
34. Muḥammad ʿĀbid al-Jābirī, ***Naḥnu wa-al-Turāth: Qirāʾāt Muʿāṣirah fī Turāthinā al-Falsafī*** (Lebanon: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1980).
35. Muḥammad ʿĀbid al-Jābirī, ***Takwīn al-ʿAql al-ʿArabī*** (Lebanon: al-Markaz al-Thaqāfī al-ʿArabī, 1986).
36. Rīchārd Kūtt wa-Krīs Simith, ***Intiḥār al-Gharb,*** trans. Muḥammad Maḥmūd al-Tūbah (Riyadh: al-ʿUbaykān, 2018).
37. Rīchārd Tārnās, ***Ālām al-ʿAql al-Gharbī: Fahm al-Afkār allatī Ṣāghat Naẓaratunā lil-ʿĀlam,*** trans. Fāḍil Jatkār (Riyadh: al-ʿUbaykān, 2010).
38. Rūjiyah Ghārūdī, ***al-Bunyawiyyah Falsafah Mawt al-Insān,*** trans. Jūrj Ṭarābīshī (Beirut: Dār al-Ṭalīʿah, 1979).

39. Zīghmūnt Bāwmān, ***al-Ḥadāthah al-Sāʾilah***, trans. Ḥajjāj Abū Jabr (Beirut: al-Shabakah al-ʿArabiyyah li-al-Abḥāth wa-al-Nashr, 2016).
40. Zīghmūnt Bāwmān, ***al-Ḥadāthah al-Sāʾilah: al-ʿĀlam al-Muḥaddad,*** trans. ʿĀdil al-Lāḥim (Beirut: al-Shabakah al-ʿArabiyyah li-al-Abḥāth wa-al-Nashr, 2021).
41. Zīghmūnt Bāwmān, ***al-Ḥadāthah wa-Ḍuḥāyāhā***, trans. ʿĀdil al-Lāḥim (Beirut: al-Shabakah al-ʿArabiyyah li-al-Abḥāth wa-al-Nashr, 2018).
42. Zīghmūnt Bāwmān, ***al-Ḥayāh fī ʿAṣr al-Ḥadāthah al-Sāʾilah***, trans. Aḥmad ʿAbd al-Ḥalīm (Beirut: al-Shabakah al-ʿArabiyyah li-al-Abḥāth wa-al-Nashr, 2016).
43. Zīghmūnt Bāwmān, ***al-Ḥubb al-Sāʾil***, trans. Ibrāhīm al-ʿAwfī (Beirut: al-Shabakah al-ʿArabiyyah li-al-Abḥāth wa-al-Nashr, 2016).
44. Zīghmūnt Bāwmān, ***al-Ḥurriyyah***, trans. Ḥajjāj Abū Jabr (Beirut: al-Shabakah al-ʿArabiyyah li-al-Abḥāth wa-al-Nashr, 2017).
45. Zīghmūnt Bāwmān, ***al-Khawf al-Sāʾil***, trans. ʿĀdil al-Lāḥim (Beirut: al-Shabakah al-ʿArabiyyah li-al-Abḥāth wa-al-Nashr, 2017).
46. Zīghmūnt Bāwmān, ***al-Tanmiyah al-Ghāʾibah***, trans. Aḥmad ʿAbd al-Ḥalīm (Beirut: al-Shabakah al-ʿArabiyyah li-al-Abḥāth wa-al-Nashr, 2019).
47. Zīghmūnt Bāwmān, ***mā Baʿd al-Ḥadāthah wa-Tābihātuhā***, trans. ʿĀdil al-Lāḥim (Beirut: al-Shabakah al-ʿArabiyyah li-al-Abḥāth wa-al-Nashr, 2019).

مجمع البحوث الإسلامية

الجامعة الإسلامية العالمية ــ إسلام آباد

إصدار جديد

من المطبوعات التي صدرت جديداً عن مجمع البحوث الإسلامية كتاب:

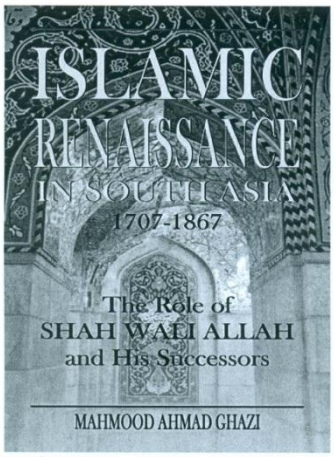

البعث الإسلامي في جنوب آسيا

(١٧٠٧م ــ ١٨٦٧م)

دور الإمام ولي الله الدهلوي وأتباعه

دراسة (باللغة الإنجليزية) للأستاذ الدكتور
محمود أحمد غازي بعنوان:

ISLAMIC RENAISSANCE IN SOUTH ASIA (1707 --- 1867)

THE ROLE OF SHAH WALI ALLAH

صفحات: ٣٢٢ ISBN No. 969-408-232-3 (مجلد) قيمة: =/٤٥٠ روبية ، =/٣٣ دولار

ISBN No. 969-408-231-5 (غير مجلد) قيمة: =/٤٠٠ روبية ، =/٣٠ دولار

ولطلب هذا الكتاب أو قائمة مطبوعات المجمع، يرجى الاتصال بـ:

مدير المطبوعات، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية،ص. ب: ١٠٣٥ ـ إسلام آباد

الهاتف: ٢٢٥٤٨٧٤، الفاكس: ٢٢٥٤٨٧٤، العنوان الالكتروني: E-mail: <iri.publications@gmail.com>